مدفن اسرة طاعي التدمرية

للدكتور

سليم عادل عبد الحق

مدير الآثار العام في سورية

١ – اكتشاف المدفن

نحن مدينون باكتشاف مدفن طاعي التدمري الى الصدف ، التي لعبت وتلعب دوراً هاماً جداً في معظم الاكتشافات الأثرية الكبرى . وكان سبب هذا الحادث السعيد الجديد إحدي السيارات الضخمة المسماة (عنترة) التابعة لشركة نفط العراق . فبينما كانت هذه السيارة تقوم في يوم من أيام ربيع سنة ١٩٥٢ بنقل عدد من الأنابيب اللازمة لتمديد خط البترول الجديد ذي القطر (٢٠ إنشاً) في المنطقة الجنوبية من تدمر ، على بعد ١٣٠٠ متر من معبد (بل) الكبير ، وعلى الطريق الممهدة التي تؤدي الى معسكر الشركة (ت ٢) ، إذا بالأرض تخسف في موضع إحدى عجلاتها ، وتنهار تحت وزنها البالغ مائة طن قبة الايوان الغربي في مدفن طاعي ، الذي كان مخفياً تماماً عن الأنظار على عمق سبعة أمتار .

وأسعفت السيارة ثم انتشلت من الارض المنهارة . وحدثت في مكان الانهيار حفرة عميقة بين خطي الأنابيب اللذين مددا نحو سنة ١٩٣٠ . ونقل الخبر الى مراقب الآثار في تدمر السيد عبيد الطه نخف الى المكان المنخسف . ولم يلبث أن انتبه الى وجود المدفن ، فسارع باخبار مديرية الآثار العامة بالاكتشاف . فانتدب المساعد الفني السيد نظمي خير للسفر الى تدمر . وقام هذان الموظفان النشيطان بسبر أكد لهما وجود المدفن الجديد . وبعد ان استعددنا تماماً لأعمال التنقيب

العلمي المنظم ، بدأنا حفرياتنا في منتصف شهر تموز ، وحرصنا على تنفيذها بسرعة . لأننا خشينا أن ينهار علينا المدفن الذي صار يتصدع . وظللنا نتابع هذه الأعمال مدة عدة أسابيع حتى أنهيناها تماماً . وأنا مدين خاصة للسيد نظمي خير بكثير من المعلومات التي استخدمت في كتابة هذا البحث كما ان الصور والمخططات التي ترافقه هي من عمل هذا الخبير الممتاز .

وقد انحدرنا الى داخل المدفن من الحفرة التي أحدثتها عجلة سيارة النفط في قبة إيوان المدفن الغربي على الحبال . وكانت أرض المدفن ملأى بالأنقاض المنهارة .

ولما تبينا موضع المدخل عدنا أدراجنا ، وقمنا بحفر شق عميق في شرقه ، فوصلنا الى دهليز صغير يتقدم هذا المدخل ، وأدخلنا من الشق عمالنا وأدوات الحفر اللازمة الى المدفن . ووجدنا بابه الحجري مفتوحاً وملقى في داخله . مما أكد لنا ان هذا المدفن قد نهب في الأزمنة القديمة قبل أن يختفي تماماً عن الأنظار بسبب تراكم الرمال والأتربة التي حملتها الرياح والسيول . وقد لاحظنا أن معظم زخارفه البنائية قد نزعت منه ، ولم تبق منها إلا عناصر قليلة جداً . وهذا ما جعلنا نعتقد أن السكان التدمريين في عصر ما انتزعوا هذه الزخارف الحجرية الجاهزة وزينوا بها دورهم . ولحسن الحظ أنهم أهملوا زخارفه المنحوتة الكثيرة . فجمعناها بعد أن أزلنا عنها مئات الأمتار المكعبه من الأنقاض والأتربة والرمال . وتألف لدينا منها أجمل مجموعة للنحت التدمري ، يعود عهد معظمها إلى القرن الثاني الميلادى .

ولا ريب أن هذا المدفن من أنواع المدافن التدمرية المحفورة تحت الأرض (١) والتي كانت الأسر التدمرية المنعمة تنشئها لتكون المقر النهائي الذي تستريح فيه رفات أعضائها . وقد وجدنا في نصوص مكتوبة ومحفورة على بعض الأحجار وعدة تماثيل نصفية منحوتة تمثل الأشخاص الذين دفنوا في هذا المدفن الجديد ، اسم (طاعي) يتكرر مراراً كثيرة إلى جانب أسماء متعددة أخرى . مما حدا بنا إلى نسبة هذا المدفن لأسرة طاعي التدمرية القديمة ، كما تبين من دراستنا التي سنفصلها فيما يلي أن معظم الذين دفنوا من أفراد هذه الأسرة من القرن الثاني الميلادي .

---

(١) أنواع المدفن التدمرية في القرون الميلادية الأولى ثلاثة : المدافن المحفورة تحت الأرض وأشهرها مدفن الاخوان الثلاثه ومدفن يرحاي الذي اعيد إنشاؤه في متحف دمشق ؛ والمدافن الأبراج ، وهي أبنية عالية ذات عدة طوابق ، وتملىء بعددها الكثير وادي القبور في تدمر ، وأشهرها مدفن ايلابيل ؛ ومدفن جامليك ، والمدافن المنازل ، وهي على شاكلة أبنية المعابد التدمرية ، واشهرها قصر الحية المعروف .

كما أن أكثر الآثار التي عثرنا عليها في هذا المدفن من هذا العهد الذي اشتهرت فيه مدينة تدمر بفاعليتها التجارية الشديدة ، وتصريفها لشؤون المبادلات الاقتصادية بين الشرق الأقصى وعالم البحر الأبيض المتوسط ، واختصاصها بنقل الحرير بين الخليج الفارسي والمدن الساحلية السورية كبيروت وصور التي تصنعه مصانعها وتصبغه مصابغها (١) . كما أن تدمر اشتهرت في ذلك الزمن بكونها مركزاً للمواصلات بين بلاد الشام وبين بلاد الرافدين (٢) . وكانت علاقاتها متصلة مع بلاد الأناضول وبلاد السكيت في جنوب روسيا ومع البلاد الأرمنية (٣) حيث يأتيها العبيد والجواري ، ومع بلاد الأنباط التي كانت تتساند وإياها في تصريف البضائع الشرقية . وأخيراً فان أهميتها الستراتيجية كانت عظيمة جداً للامبراطورية الرومانية للدفاع عن الفرات . وقد استولى عليها الامبراطور تراجان ، سنة (١١٤) ، وهيأها لأن تكون قاعدة من قواعده العسكرية المهمة قبل أن يغزو بلاد الرافدين . كما أتى اليها خلفه الامبراطور هادريان سنة (١٢٩) فسميت (هادريانا) باسمه . وكانت تقدم الى الامبراطورية الرومانية عدداً من الفيالق المساعدة المشهورة برماة النبال الذين كانوا أحسن من يعهد اليهم بمهمة المحافظة على خط الفرات . كما كانت تقدم لها لوازم الجيوش المعسكرة في الشرق . وهذا ما جعلها مركز الطرق الستراتيجية التي كانت تربطها بأفامية (٤) ، ودمشق (٥) ، وغيرها من المدن السورية .

ولا شك أن أسرة طاعي من الأسر التدمرية الغنية التي عاشت في ذلك الزمن ، وساهمت في أنشاء مجد تدمر ، وكان منها التجار ورجال الأعمال الذين قطعوا البوادي والقفار ، ووصلوا الشرق بالغرب . وما تركته في مدفنها من آثار يساعدنا على إيضاح كثير من المعلومات عن فنون التدمريين في ذلك الزمن ، وعن لغتهم ، وأسمائهم ، وحياتهم ، وألبستهم ، وحليهم ، وعاداتهم ، وطقوسهم الدينية والجنازية . مما يساعد على إغناء التراث التاريخي لعروس الصحراء ومركز وثبة زنوبيا إلى أطراف الشرق القديم التي كانت تمهيداً لوثبة أعظم سيقوم بها أهل الصحراء بعد عدة قرون .

---

(١) انظر في كتاب :
J. G. Février : Essai sur l'histoire Politique et économique de Palmyre, Paris 1931. P 50

(٢) عن طريق شاركس وفولوجيزياس ، والحيرة ودورا ، وزنوبيا .

(٣) عن طريق الطيبة ، فالرصافة ، فالرقة ، فوادي بليخ .

(٤) كانت الطريق التي تصلها بافامية مبلطة .

(٥) وصلت تدمر بدمشق بواسطة طريقين ، الأولى : وهي الطريق القصيرة وتمر على القريتين وعلى جيرود ، والثانية : وهي الطريق الطويلة ، وتمر على حوارين وسداد والقلمون .

٢ – الدرج المؤدي الى المدفن

ولما عثرنا على باب المدفن وهو على عمق ٥،٧٠ متراً ، وجب علينا التوصل الى معرفة الطريق التي كان يسلكها أصحاب المدفن سابقاً لبلوغه . وقد ظننا في بادئ الأمر أنه يوجد منحدر يشبه المنحدر الذي يهبط من سطح الأرض الى مدفن الأخوان الثلاثة (١) . الا اننا لم نلبث ان عثرنا على درج ضيق وطويل يصل الأرض الخارجية بالرحبة الصغيرة الواقعة أمام الباب .

ووجب التأني والحذر في ازاحة الأتربة عن هذا الدرج بسبب انشاء خط أنابيب البترول فوقه . ولما ظهر الى العيان رأينا أنه يتألف من سبع وعشرين درجة من الحجر الجصي الطري ، وأن طوله (٩،١٠ م) وعرضه (٢،٠٢ م) . ولاحظنا ان الدرجات السبع الأولى قد نزعت .

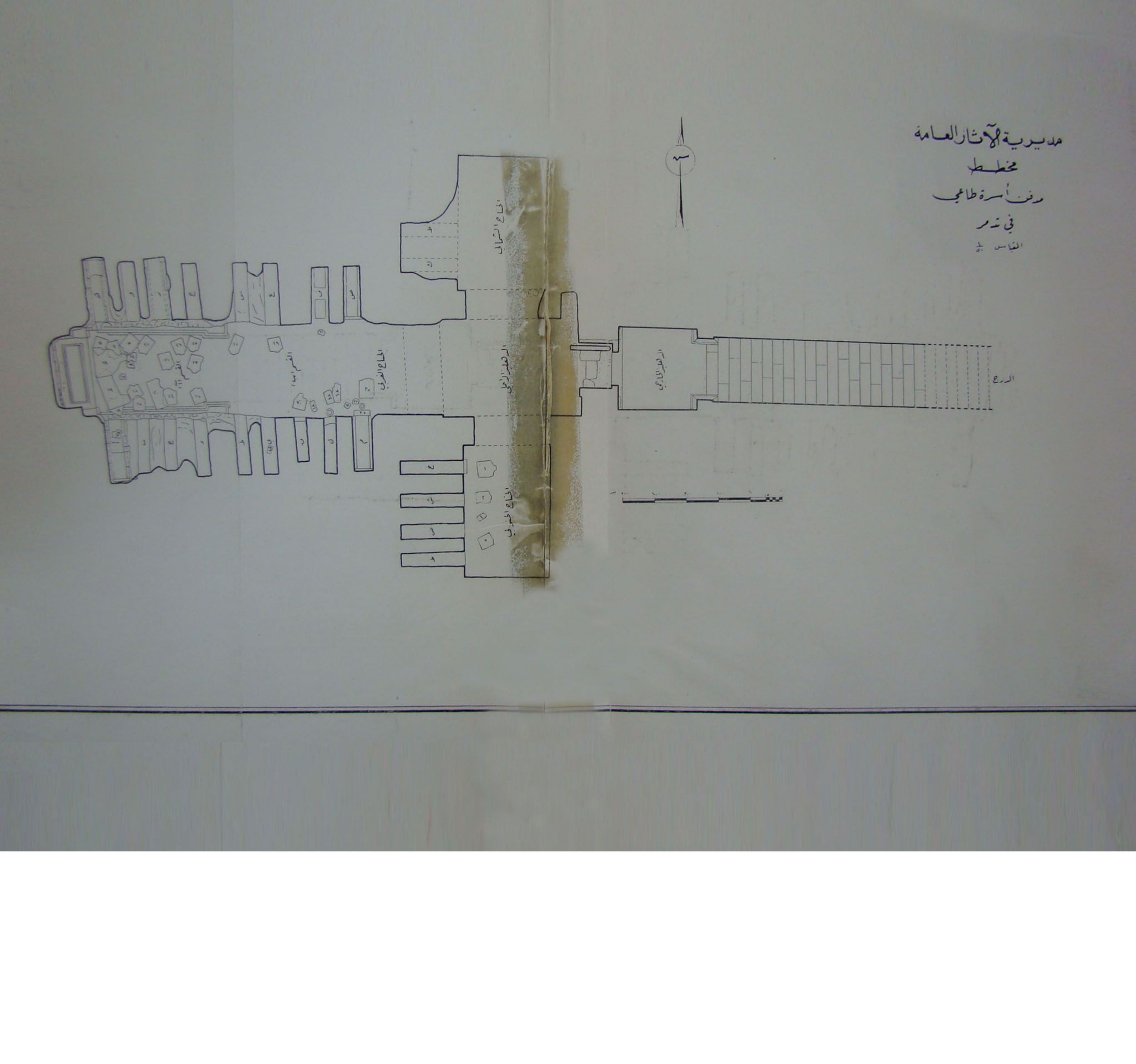


١ — المكان الذي حدث فيه الانخساف تحت عجلات سيارة البترول الضخمة ، حيث يشاهد بعض العمال وهم يقومون بانزال خبراء الآثار على الحبال الى داخل المدفن .

وليس يدرى أكان نزعها في أحد الأزمنة الخالية أم لدى إقامة خط البترول . ومهما يكن فان سوية الأرض الحالية أعلى من سوية الدرجة الأولى بـ ٦٠ سنتمتراً . وتتألف كل درجة

---

(١) ويظن انه كان يوجد لهذا المدفن درج يؤدي اليه ، غير أن درجات هذا الدرج انتزعت في عهد من العهود فتألف هذا المنحدر في مكانها .


مديرية الآثار العامة
مخطط
مدفن أسرة طاعي
في تدمر
المقياس
الدرج

من قطعتين من الحجر المنحوت غير متساويتين ، ويتراوح عرض كل منهما بين (١٫١٨ م — ٠٫٨٤ م) و (١٫٤٥ — ٠٫٥٧ م) .

ويستر الجداران الجانبيان في هذا الدرج بلاطات من الحجر الكلسي الطري المرصوفة في مداميك ، ارتفاع كل منها نحو (٥٩ سم) . ويشاهد اليوم خمسة منها . ولا يعرف إذا وجدت سابقاً مداميك أخرى ، أو أن الأقسام العلوية من هذين الجدارين الجانبيين كانت مطلية بالدهان الجصي .

وتقوم في أسفل الدرج عضادتان عرض كل منها ٥٦ سنتمتراً . ولهما قاعدتان ارتفاعهما ٢٤ سنتمتراً ، وتستندان على آخر درجة ، وعلى مسند حجري يؤلف استطالة امام هذه الدرجة . ويبلغ ارتفاع العضادتين الحالي (٢٫٢٠ م) ويظن ان ارتفاعهما الأصلي كان (٣٫٥٠ م) .

وأمام آخر درجة فسحة طولها متر واحد وعرضها متران ، وأرضها من التراب وجداراها الجانبيان من البلاطات الحجرية الكلسية التي وصفناها ، لدى كلامنا عن جدران الدرج . وتوجد الآن خمسة مداميك منها ، وآثار لمدماك سادس . ولا ريب أن الأقسام العلوية من هذين الجدارين كانت أيضاً إما مغشاةً ببلاطات اخرى ، أو أنها كانت مطلية بطبقة من الدهان الجصي ، كما هو الأمر في جداري الدرج .

ويحيط بمدخل المدفن قائمتان مقطوعتان في حجر واحد . وهما متقاربتان في قسميهما العلويين . ويبلغ ارتفاعهما ٢٫١٥ م ، وتستندان على عتبة الباب التي يبلغ طولها ٢٫٦١ م . أما حنت الباب العلوي فيبلغ طوله (١٫٠٩ م) . وهو أملس ولا يوجد عليه أي نص محفور مماثل للنصوص المحفورة في بعض المدافن الأخرى .

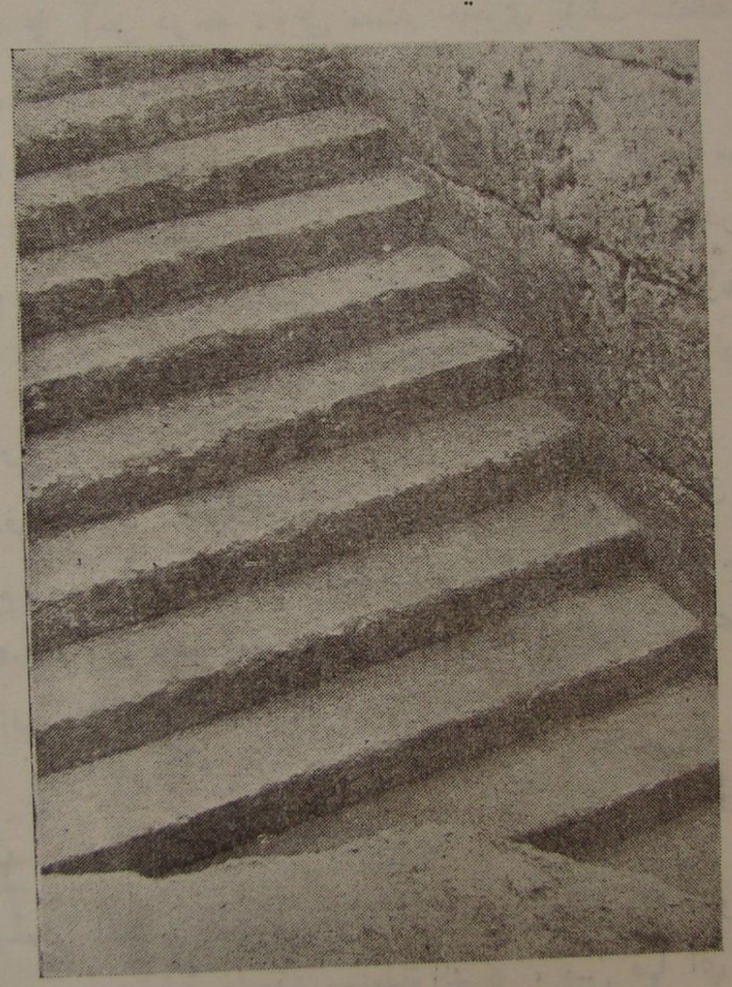
٣ — باب المدفن

باب المدفن من الحجر الكلسي الصلب . ويبلغ ارتفاعه (٢٫١٥ م) ، وعرضه (١٫٢٨ م) ، وسمكه (١٨ سنتمتراً) . وهو قطعة واحدة مستطيلة الشكل ، ليس فيها أي شيء من الزخارف ، وسطحها الخارجي أملس ومجلو . أما سطحها الداخلي فهو مسوى دون جلو . ويفتح هذا الباب من اليسار الى اليمين نحو الداخل . وقد وجدناه ملقى في أرض المدفن . وله استطالة اسطوانيه في أعلاه لكي تدور في ثقب اسطواني محفور في الحنت . ويظهر أنه كانت توجد له استطالة معدنية أخرى . ولم يعثر لها على أثر ولاحظنا أيضاً ان ثقباً مستديراً يوجد في وسط هذا الباب قطره ١٣٫٥ سم

على ارتفاع ٨٤،٥ سم ليمكن من يريد دخول المدفن ان يحرك زلاجين مستطيلين كانا مثبتين على وجه الباب الداخلي ، وكان هذان الزلاجان ينفذان في ثقبين محفورين في قائمة الباب اليسرى .

٤ — المدفن

وينحدر المرء الى أرض المدفن على درجة مستطيلة الشكل ، ارتفاعها (٤٠ سم). فيجد نفسه في بهو داخلي مركزي مستطيل ، طوله (٤،٣٠ م) . وكان هذا البهو طافحاً برمال السيول التي اجتاحت المدفن مرات عديدة .



٢ — الدرجات الأخيرة المؤدية الى المدفن

وأرض البهو من التراب الطبيعي ، وهي غير مبلطة . وكذلك كان سقفه منقوباً في الطبقات الترابية على شكل قبة نصف مستديرة مغشاة بطلاء جصي . وقد انهارت هذه القبة الآن ، ويظهر أنها كانت تستند على أربع دعائم من التراب تقوم في أطراف البهو الأربعة . وكانت مطلية بالجص . ومازالت تظهر آثار هذا الطلاء على الاقسام العلوية من الدعامتين اليمينيتين .

وقد التقطنا من أرض البهو عدة قطع فخارية من أوان جنازية ذات أشكال متعددة . كما عثرنا في مدخل الجناح الشمالي من المدفن على عدد من الأحجار الجصية المسواة وعلى تاج دعامة وعدة أحجار كانت لقوس مستدير . ولا ريب أن كل هذه الأحجار كانت من العناصر التي تؤلف زخارف البناء الداخلية . وسنتكلم عنها فيما بعد .

وأفعمنا سروراً لما وجدنا لوحاً حجرياً كلسياً مسوى وعليه كتابة تدمرية آرامية موزعة على نصين منقوشين تنقصها بعض الكلمات والأحرف . وقد درس هذه الكتابة صديقنا الاب جان ستاركي ، وأدلى إلينا بنتيجة دراسته . ومفادها أن النصين من فاتحة القرن الثاني الميلادي . ويمكن قراءة النص الأول كما يلي :

(شيد هذا المدفن طاعي) بن بوريفا ، قسما .

(لنفسه ولاولاده كسكن أز) لي في شهر نيسان من السنة ٤٠٠[1] .

كما يتمكن قراءة النص الثاني على الشكل التالي :

(٠٠٠٠٠٠٠) وبوريفا بن عجيلو بن بوريفا قسما .

(و٠٠٠٠٠٠) وأم (؟) ابنتها وعجيلو ابنها .

ولم نتمكن من معرفة المكان الذي كان فيه اللوح في المدفن . ويخيل الينا أنه كان فوق القوس الذي كان يفصل قسمي الايوان الغربي من هذا المدفن . ومهما يكن فان باني المدفن هو ابن بوريفا قسما . ولا يستغرب ان يكون هذا الرجل هو جد الأسرة التي احتوى هذا المدفن جثث أفرادها . كما لا يستغرب ان يكون اسمه الأول (طاعي) ، إذ ان هذا الاسم تردد عدة مرات في الكتابات الأخرى التي عثر عليها في هذا المدفن كما سنذكر ذلك في حينه .

وكذلك فان التاريخ المذكور وهو أول القرن الثاني الميلادي يتفق مع نتائج دراساتنا لبناء المدفن ولزخارفه المنحوتة ولأوانيه الفخارية .

* * *

ويتصل الدهليز المتوسط بثلاثة أواوين متصالبه شأن معظم المدافن التدمرية الواقعة تحت الأرض . وتمتد هذه الأواوين الثلاثة إلى الغرب وإلى الجنوب، وإلى الشمال .

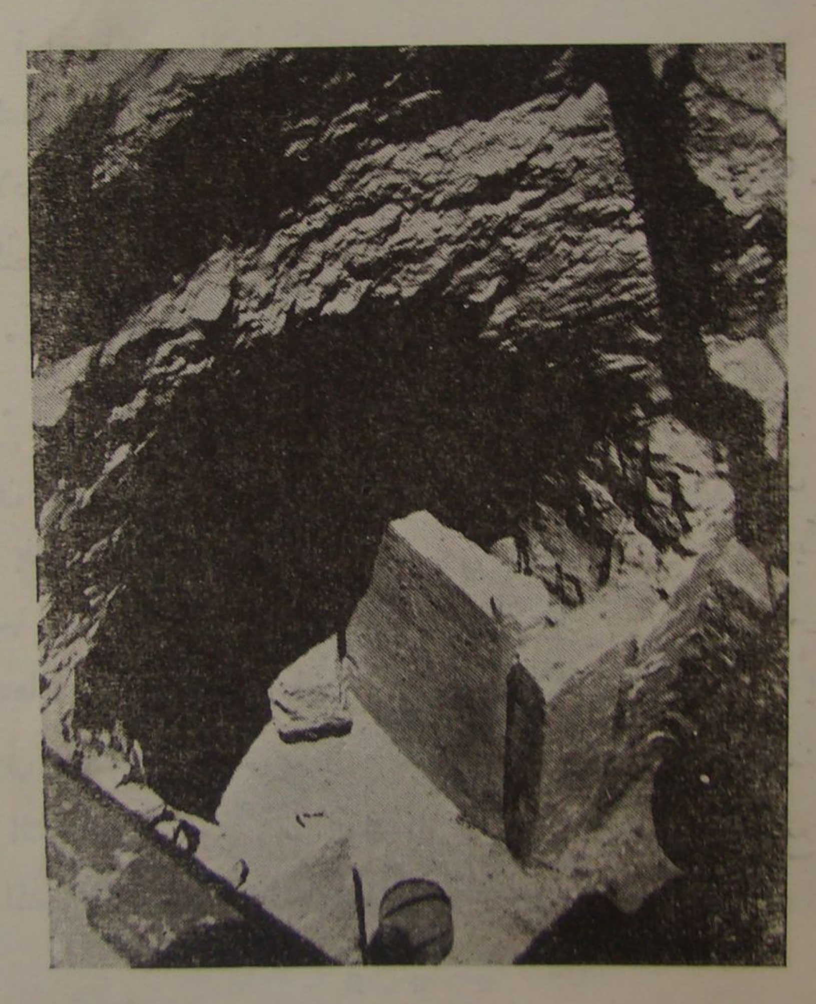
---

(١) نسبة الى التاريخ السلوقي الذي يبدأ بسنة ٣١٢ ق . م .

٥ - الايوان الغربي

وقد حفر الايوان الغربي في محور الدهليز المتوسط ، غير انه انحرف قليلاً في نهايته نحو الشمال وأدى هذا الانحراف إلى حدوث شيء من الميل في صفوف القبور المحفورة في الجدارين الشمالي والجنوبي لهذا الايوان كما يرى ذلك في المخطط رقم (١) .

ويبلغ طول هذا الايوان (٩،٥٩ م) ، وعرضه (٢،٤٨ م) . وقد كان مملوءاً بالانقاض على ارتفاع (١،٦٥ م) . وأرضه من التراب . وأما سقفه فقد انهار كما ذكرنا تحت ثقل سيارة شركة البترول العراقي . وكذلك فقد تساقطت جدرانه حتى يصعب على المرء أن يتصور كيف كانت حاله قديماً .



٣ — باب للمدفن أثناء عمليات الحفر

ويظهر أنه كان مقسوماً الى قسمين : قسم خلفي (آ) ، وطوله (٤،١٠ م) ، وقسم أمامي (ب) ، وطوله (٥،٤٩ م) . وكان يفصلها عن بعضها قوس يستند على دعامتين .

وكان القسم (آ) مزيناً بزخارف غنية . إذ أن محراباً كبيراً كان يقوم في صدره

على درجتين ، ارتفاعها (٣٠ سم) . ويأتي بعدهما تابوت كبير من الحجر الكلسي الصلب ارتفاعه (٨٢ سم) وعرضه ، (٢،١٤ م) ، وعمقه (٨٦ سم) . وسطحه الأمامي منحوت ويمثل تختاً جنازياً تدمرياً ، وعليه فراش مزين بثلاثة أشرطة محفورة ومزركشة وبأسد جالس الى اليمين الى جانب صورة صغيرة لكاهن تدمري . وأعد داخله المفرغ لدفن شخصين ، فجعل فيه قبران مستطيلان الواحد فوق الآخر . وقد وجدناه طافحاً بأنقاض جصية تابعة للزخارف التي كانت تزين محراب الصدر . ولم تفدنا هـذه الأنقاض شيئاً في معرفة طبيعة الزخارف ، لانها مفتتة ، ولم يتبين منها إلا تاج كورنثي مشوه ، ارتفاعه (٢٧ سم) ، وعرضه (٥٢ سم) . ويظهر انه كان يعلو إحدى دعامتين كانتا في طرفي المحراب . كما يبدو أنه كان يوجد بين هاتين الدعامتين قوس وجدنا عناصره بين الأحجار المنحوتة ، التي عثرنا عليها في مدخل الايوان الشمالي . ويظن أن الذين نهبوا زخارف المدفن انتزعوا أحجار هذا القوس وتركوها حيث وجدناها . ومهما يكن فاننا غير واثقين تماماً من فرضيتنا هذه .

وعثرنا على قطعتين منحوتتين ومتكاملتين (رقم ٩ ورقم ١٩) أمام المدفن المذكور . وهما يمثلان كاهناً حليق الوجه جالساً ، والى جانبه امرأة متوفية . وكانت هاتان القطعتان على المدفن الجنازي . وسندرسهما بصورة مفصلة لدى كلامنا على التماثيل والألواح المنحوتة . وقد عثرنا وراءهما في المحراب على آثار دلتنا على أنه كان يوجد هناك قبر ثالث فوق قبري التابوت الحجري .

وتشاهد دكة صغيرة مؤلفة من ثلاث درجات ارتفاعها (٢٠ سم) تمتد في أسفل الجدارين الجنوبي والشمالي في هذا الايوان الغربي . وهي تبرز من الطرفين بروزاً قدره (١٠ سم) . فتتألف من ذلك قاعدتان كانت تستند عليهما دعامتان فوقهما عقد حجري . وكان يبدأ من هذا العقد سقف حجري مستدير على شكل القبة ، وينتهي في صدر المحراب[١] وكان يعلو الدكة ، قاعدة ارتفاعها (٥٠ سم) . وتتألف من مدماكين من الأحجار الرقيقة الجصية المقطوعة التي تخفي جزءاً من صفوف القبور التي سنتحدث عنها بعد قليل[٢] .

وكانت تقوم بين هذه القاعدة وصفوف القبور دعائم صغيرة من الجص على صفحاتها أنصاف أعمدة . ولم نعثر إلا على جزء من إحدى هذه الدعائم . طوله (١،٣١ م) ، وعرضه (٤٧ سم) .

---

(١) عثرنا على عدة أحجار منحوتة على شكل مستدير ، وكانت تابعة لهذا السقف .
(٢) كذلك وجدنا عدداً من هذه الاحجار ملقاة في مدخل الايوان الشمالي .

ويبلغ قطر نصف العامود الذي يستند على صفحتها (٢٠ سم) . وهي مفرغة من نقطتين في طرفيها ، ليمكن وضع الفواصل التي تعزل القبور عن بعضها فيها . ويظهر أنه كانت توجد تيجان مستطيلة فوق هذه الدعائم . ولم يعثر منها إلا على ربع تاج ، ارتفاعه (٢١ سم) . ويظن أنه كان يعلو إحدى دعامات الزوايا .

وكان يمتد فوق تيجان هذه الدعائم كورنيش عثرنا على أحد أحجاره ،



٤ - عمال الآثار ينقبون تحت اشراف الفنيين في الايوان الغربي من المدفن المكتشف .

٦ - صفوف القبور في الايوان الغربي

ويوجد ماعدا القبور الثلاثة التي ذكرناها داخل التابوت الحجري وخارجه ، قبران صغيران محفوران مباشرة في الأرض أمام التابوت المذكور . وهما مستطيلا الشكل . وعثرنا في كل منها على جثة طفل مدفونة تحت عمق (٤٠ سم) .

ويوجد أيضاً في القسم (آ) من هذا المدفن أربعة صفوف من القبور التي يعلو بعضها بعضاً ، وهي محفورة في الجدار الجنوبي ، وأربعة أخرى في الجدار الشمالي . غير أن هذه الصفوف غير متوازية ، وغير محفورة بانتظام تام ، ولا تحوي عدداً واحداً من القبور . كما أنه لا يظن أنها استخدمت كلها .

ونستنتج من ذلك أن صفوف القبور المذكورة لم تحفر دفعة واحدة بل أنها بنيت على دفعات متعددة ، وأنه كلما مات أحد أفراد أسرة طاعي كان يشق له قبر ، وأن امكانيات هذه الأسرة المادية لم تكن كبيرة جداً ، ومشابهة لامكانيات الذين ابتنوا مدفن يرحاي المنقول إلى متحف دمشق[1] ، أو مدفن الأخوان الثلاثة في الجنوب الغربي من وادي القبور من تدمر .

وسنصف فيما يلي هذه القبور بصورة موجزة .

٧ - صفوف القبور في القسم (آ) من الايوان الغربي

يبعد الصف الأول (آ) ، (٢٥ سم) عن المحراب المتوسط ، ويحوي ثلاثة قبور متعالية . ولم يشغل منها إلا السفليان . وتتألف جدران هذه القبور من أحجار غير مسواة ، ويفصلها عن بعضها بلاطات جصية ، سمك كل منها (١١ سم) . ووجدنا في القبر الأول هيكلاً عظمياً كبيراً ، وفي الثاني هيكلاً عظمياً ثانياً ، وبين رجليه بقايا جثة طفل .

ونلاحظ أن هذه العظام البشرية لم تمس ، وأنها في الاوضاع التي جعل عليها أصحابها لما دفنوا . ويبلغ طول هذا الصف (٢،٣٠ م) ، وعمقه (٢،١٠ م) ، وعرضه (٥٠ سم) . وعثر في القبر الاول أيضاً على رأس لتمثال نصفي رقم (٨) ، كما وجد أمام هذا الصف على أرض الايوان بقية هذا التمثال .

وكان الصف الثاني (ب) مخصصاً لثلاثة قبور أو أربعة ، اثنان منها مشغولان ، وهو على بعد (٢٧،٥ سم) من الصف الاول ، وأبعاده قريبة من أبعاده . وهو مبني مثله تماماً . وعثرنا في كل من القبرين السفليين على بقايا جثة كبيرة ، كما التقطنا أمامها التمثالين ذي الرقمين (١٧ و ١٨) .

ويبتعد الصف الثالث (ج) عن الثاني بـ (٥٥ سم) . وهو محفور في الجدار ضمن التربة القاسية ، دون أن يبنى شأن صفي القبور الاولين ، وفي القبر الاول منه بقايا شخص كبير ، وفي الثاني بقايا انسان كبير وطفل ، وفي الثاني عظام رجل . وقد وجدنا أمام هذا الصف التمثال النصفي رقم (٢٠) .

وشق الصف الرابع (د) على بعد (٦٠ سم) من الصف السابق . وهو يحوي ثلاثة قبور لم يشغل منها الا اثنان ، في الاول بقايا جثة واحدة ، وفي الثاني بقايا جثتين . وعثرنا بقربه على للتمثال النصفي رقم (٢٤) .

---

(١) انظر : مقال روبير آمي ، وهانري سيريغ عن هذا المدفن في مجلة سيريا سنة ١٩٣٦ ، العدد الثالث ، الصفحة ٢٣٩ وما يتبعها ، ومقال سليم وأندرة عبد الحق ، كاتلوج الجناح اليوناني - الروماني في متحف دمشق ، طبعة افرانسية ، دمشق ١٩٥١ ، ص ٥٣٠ وما يتبعها .

٨ – صفوف القبور في الجدار الشمالي من القسم (آ) في الإيوان الغربي

لقد أشرنا إلى هذه الصفوف بالاحرف (ﻫ ، و ، ز ، ح) . وهي غير عمودية على محور المدفن ، لانها شقت بميل ظاهر نحو المحراب الاوسط . ويبلغ ارتفاع الصف الاول (ﻫ) نحو (٢،٣٧ م) ، وعرضه (٢،٠٩ م) ، وعمقه نحو الداخل (٢،٠٩ م) . وهو مبني من قطع من الاحجار الجصية ، وتعزل قبورها عن بعضها صفحات حجرية جصية . وعثر في كل قبر من قبوره الثلاثة الاولى على بقايا عظمية لانسان واحد كما التقط أمامه تمثال نصفي لراهب (رقم ٧) ، ويظن أنه كان يزين مدخل القبر الاول ، وتمثال نصفي آخر



٥ – أحد الهياكل العظمية المكتشفة في قبور الصفوف الجدارية من الايوان الغربي

لامرأة رقم (٦) ، ويظن أنه كان يزين القبر الثاني . أما صف القبور الثاني (و) في هذا الجدار ، فانه يبتعد بـ (٥٧،٥ سم) عن الصف الاول . وهو محفور في التراب ، ويحوي ثلاثة قبور لم يشغل منها الا الاثنان السفليان ، ووجد في كل منها بقايا عظمية لجثة رجل واحد . والتقطنا قرب هذا الصف التمثال النصفي (رقم ٥)

لرجل ملتح ، وقد انهار من مدخل القبر الاول ، وجزءاً من التمثال (رقم ١٤) ،والتمثال النصفي رقم (٢٢) لرجل ملتح آخر .

ويبعد الصف الثالث (ز) ، (٣٥ سم) عن الصف الثاني ، وهو مبني كالصف الاول ، وابعاده شبيهة بأبعاده . وفي كل من قبريه السفليين جثة رجل . وقد عثرنا أمامه على تمثال نصفي للباكية (رقم ٢١) الذي انتزع من مدخل القبر الثاني ، وعلى تمثال نصفي لرجل رقم (٢٦) ، وكان يسد مدخل القبر الاول .

ثم أن الصف الرابع (ح) يبعد (٤٥ سم) عن الصف المتقدم ، وهو منقوب في التراب . ووجدنا في القبر الاول هيكلاً عظمياً واحداً . أما في القبرين العلويين فلم نعثر الا على بعض العظام التي لم تشكل هيكلاً تاماً . والتقطنا امام هذا الصف التمثال النصفي النسوي (رقم ٢٥) والتمثال النصفي لكاهن رقم (٢٣) ، وكانا يزينان قبرين من قبور هذا الصف -

٩ – القسم (ب) من الايوان الغربي

يختص هذا القسم (ب) من الايوان الغربي أن بناءه لا يعادل بناء القسم (آ) من حيث الجمال والاتقان . وهو يمتد على طول (٥،٤٩ م) في فراغ مستطيل الشكل وسقفه منقوب في الأرض الطبيعية ، ويظهر أنه كان مغطى بغشاء من الجص ، وأرضه غير معبدة ، أما جدرانه فانها لم تكن ملبسة بأحجار مقطوعة كما كان الأمر في القسم (آ) بل مغشاة بغشاء جصي مازالت بعض آثاره على طرفي جدران المدخل .

ولا تشاهد آثار أي نظام في رصف صفوف القبور على الجانبين . إذ أنه تشاهد أربعة منها محفورة في الجدار الشمالي ، وخمسة في الجدار الجنوبي . إلا ان القبور الأولى في الصفين الأول والثاني من الجانبين شقت فوق سوية الأرض بارتفاعات متباينة . على حين أن القبور الأولى في الصفين الثالث والرابع من الجهتين جعلت تحت سوية الأرض . أما القبر الأول في الصف الخامس في الجدار الجنوبي فانه شق على سوية الأرض تماماً .

وعلى هذا فان صفوف القبور الأربعة المحفورة في الجدار الشمالي والتي أشرنا اليها بالأحرف (د ، س ، و ، ف ، ص) لم توزع بصورة منتظمة ، وعلى مسافات متساوية . كما أن القبور في هذه الصفوف جعلت على ارتفاعات مختلفة .

ويأتي الصف (س) بعد (٢٢ سم) من درجات الدكة التي تحدثنا عنها سابقاً . وقد تخربت قبوره تماماً . وارتفاعه (٢،١٧ م) ، وعرضه (٥٢ سم) ، وعمقه (١،٨٠ سم) . والقبر الاول فوق سوية الارض بـ (٦٦سم) . وفيه عظام لهيكل كبير ، وستة سرج فخارية . والقبور الأخرى في هذا الصف مهدمة تماماً . والتقطنا أمامه التمثال النسوي النصفي ذو الرقم (٢٨) .

ويحوي قبره الاول الذي
ويقع الصف (ع) بعد (٤٥ سم) من الصف السابق ، ويشبهه بطوله وأبعاده . ولم نعثر على بقايا عظمية أخرى في بقية قبور
يرتفع (٦٩،٥ سم) عن سوية الارض عظام هيكل واحد . بالقرب منه .
هذا الصف التي تهدمت تماماً . والتقطنا التمثال النصفي لرجل ملتح رقم (٢٩) وبني من الاحجار غير المسواه
أما الصف الثالث (ف) فلقد حفر بعد (٩٨ سم) من الصف السابق ، أرض المدفن بـ (٤٢ سم) .
وأبعاده تشبه أبعاد الصفوف المذكورة . ويختص قبره الأول أنه دون سوية



٦ — استخراج التماثيل النصفية التي كانت تزين مداخل القبور ، من الأنقاض التي تملىء أرض الايوان الغربي

وهو قبر مزدوج يتألف كل منها من حفرة مستطيلة الشكل . وفي الحفرة الأمامية هيكل عظمي صغير لطفل .
وشاهدة صغيرة منقوش عليها ما يلي باللغة التدمرية على سطرين :

واحسرتاه ! يديبول

طاعي بن مقيمو

وتحوي الحفرة الثانية في هذا الطابق بقايا عظمية لطفل آخر . وفي قبر الطابق الثاني بقايا جثة

رجل ، وفي قبر الطابق الثالث بقايا جثة كبيرة أخرى . ويظن ان الطابق الرابع لم يستخدم . وعثرنا امام هذا الصف على قطعة من التمثال (رقم ٣٠) .

ويبعد الصف الرابع (ص) عن الصف السابق بـ (٤٤ سم) . ويظن أنه كان يحوي أربعة قبور ، يقع الأول تحت سوية أرض المدفن بـ (٣٥ سم) . ويحوي بقايا جثة كبيرة . وكذلك فان القبر الثاني ، والقبر الثالث يحوي كل منها بقايا جثة واحدة . أما القبر الرابع فقد وجدت فيه عظام كثيرة جمت ودرست فتبين أنها من جثتين كبيرتين وجثتين صغيرتين .

ويبلغ عدد صفوف القبور في الجدار الجنوبي من هذا الجناح خمسة ، وقد رمزنا إليها بالحروف الآتية : (ط ، ى ، ق ، ل ، م) . وهي لا تفترق إلا ببعض التفاصيل عن صفوف القبور الأخرى التي مر ذكرها . ويأتي الصف الأول (ط) على بعد (١٥ سم) من درجات الدكة . وهو محفور في التراب . وارتفاعه (٢٫٢٨ م) ، وعرضه (٤٤ سم) ، وعمقه (٢٫٩٧م) . وفيه ثلاثة قبور ، يقع الأول على ارتفاع (٧٤ سم) من أرض المدفن ، ويحوي بقايا هيكل عظمي كبير . اما القبران الباقيان فقد انهارا تماماً ، وقد التقطنا بين أنقاضها بعض عظام جثة كبيرة وسراجاً فخارياً . ولم نجد أمام هذا الصف شيئا من التماثيل .

ويبتعد الصف الثاني (ي) ٤٥ سم عن الصف الأول ، وهو يشبهه بحفره وأبعاده . ووجدنا في قبره الأول عظاما لجثة كبيرة . ويظن ان القبرين الباقيين لم يستعملا . وهما متهدمان . وعثرنا في الثاني على قطعة (رقم ١٠) من اللوح الحجري المنحوت (رقم ٣٦) الذي يمثل طفلين واقفين .

ويأتي الصف الثالث (ق) على بعد (٦٠ سم) من الصف الثاني . ويشبهه بحفره وأبعاده . إلا ان القبر الاول فيه منخفض عن سوية ارض المدفن بـ (٢٠ سم) . وقد دفن فيه رجل وطفل . أما القبر الثاني . فقد أغلقت فتحته المشرفه على الايوان الغربي ببلاطة غير منحوته . ثم يأتي قبران ثالث ورابع ، والمعتقد ان الاخير لم يستخدم . وعثرنا امام هذا الصف على تمثال نصفي لشاب (رقم ٣٠) ويظن انه كان يزين القبر الاول ، وعلى اللوح رقم (٣١) الذي يمثل طفلاً واقفاً .

ويبتعد الصف الرابع (ل) عن الثالث بـ (٦٠ سم) ، وهو كالصفوف السابقة . إلا ان القبر الاول فيه دون سوية أرض المدفن بـ (٤٢ سم) . ويحوي بقايا عدة جثث صغيرة ، وتفصله عن القبر الثاني الذي فوقه طبقة من التراب لم تحفر . وفي هـــذا القبر الثاني بقايا جثة كبيرة وجثة صغيرة ، والقبران الثالث والرابع فيه مهدمان .

والتقطنا امام هذا الصف اللوح المنحوت (رقم ٣٢) الذي يمثل طفلاً واقفاً ، واللوح المنحوت رقم (٣٤) الذي يمثل فتاة واقفة ، وقطعة منحوتة (رقم ١٣) ، تمثل جزءاً من قلنسوة راهب . ويلاحظ أيضاً اننا وجدنا أمام هذا الصف من القبور طاسة فخارية على شكل الجرن مثبتة بالارض ، ويظن أنها كانت تستخدم في بعض الغايات الجنازية .

وأخيراً فان الصف الاخير (م) محفور على بعد (٥٠ سم) من الصف المتقدم . وقبوره مبلية من الأحجار الجصية الرقيقة . وتحاذي سوية القبر الاول فيه سوية أرض المدفن . ويختص هذا القبر أننا وجدنا في مدخله تمثالاً نصفياً لشاب حليق (رقم ٣٧) ما زال يسده . ووجدنا أمامه طاسة جصية

مثبتة بالأرض شبيهة بالطاسة الفخارية التي وجدناها امام الصف المتقدم ، ووجدنا في هذا القبر بقايا جثة كبيرة ، وفي القبر الثاني بقايا جثة كبيرة وجثة صغيرة . والتقطنا أمام هذا الصف ايضاً التمثال النصفي النسوي (رقم ٣٥) ، وجزءاً من التمثال النصفي (رقم ٣٠) .

ويمكن ان يلاحظ أن بناء هذا الايوان هو أغنى من بناء الايوانين الجنوبي والشمالي ، وأن عدد الموتى الذين دفنوا فيه يؤلفون معظم أفراد أسرة طاعي .



٧ — صنوف القبور المحفورة في الجدار الجنوبي في الايوان الغربي

١٠ — ايوان المدفن الجنوبي

أما الايوان االجنوبي فان بناءه بسيط ، ويتألف من غرفة مستطيلة ، طولها (٤،٠٢ م) وعرضها (٢،٨٠ م) . وتقوم في مدخلها دعامتان مقطوعتان من التراب ، تبرز اليمنى منها (٣٥ سم) ، واليسرى (٢٥) . ويظن أنهما كانتا تحملان قوساً مستديراً ، ولم يعثر على أي جزء من أجزائه . كما يظن أن سقف هذا الايوان كان مستديراً على شكل المهد المقلوب ، ومنقوبا في التراب ، ومطلياً بطلاء جصي . وقد انهار السقف كله ولم تبق إلا آثار ضئيلة للطلاء الجصي .

وأرض هذا الايوان مسواة وغير معبدة . وتشاهد أربعة صفوف من القبور في جداره الغربي فقط . ويلاحظ أن هذه الصفوف متوازية ، ومحفورة بصورة منتظمة داخل تربة الجدار دون أن تبنى جدرانها . وليست هي كل ما كان يمكن لهذا الجدار أن يستوعبه ، كما أن بقية الجدران مسواة وليس يوجد أي اثر للقبور فيها . وتطوف بأعلاها انثناءة تمتد على طولها قبل منشأ السقف المستدير ، على ارتفاع (٢،٢ م) من الأرض .

ويقع الصف الأول (خ) على بعد (٤٣ سم) من الدعامة اليمنى . ويبلغ طوله (١،٨٦ م) ، وعرضه (٤٠ سم) ، وعمقه (١،٩٤ م) . ويرتفع القبر الأول فيه (١٨ سم) عن سوية الأرض ، ويحوي بقايا جثة كبيرة . ولا يبدو ان بقية قبوره قد شغلت ، ولم نعثر فيها على شيء . وقد التقطنا أمامه التمثال النصفي لراهب (رقم ١) . وأكبر الظن انه كان يزين مدخل القبر الأول .

ويأتي الصف الثاني (ش) بعد (٦٠ سم) من الصف الأول . وله نفس أبعاده ، ويرتفع القبر الأول فيه (٧٦ سم) عن سوية أرض المدفن . ويحوي بقايا جثة كبيرة ، ويحوي القبر الثاني بقايا جثتين كبيرتين ، والمعتقد أنه لا توجد قبور أخرى في هذا الصف غير القبرين المتقدمين . وعثرنا بقربه على التمثال النصفي (رقم ٢) الذي يمثل شاباً حليقاً .

أما الصف الثالث (ض) فيقع بعد (٥٥ سم) من الصف الثاني ، وله نفس أبعاد الصفين السابقين . وفيه ثلاثة قبور ، يرتفع الأول عن سوية الأرض بـ (٤٥ سم) . ويحوي بقايا جثة كبيرة وجثتين صغيرتين . ووجدنا في القبر الثاني بقايا جثة كبيرة ، وفي القبر الثالث بقايا جثتين كبيرتين وجثتين صغيرتين . وعثرنا أمام هذا الصف على لوح منحوت صغير (رقم ٤) الذي يمثل طفلين صغيرين ، ونظن أنه كان يزين القبر الثاني .

ويبعد الصف الرابع (ظ) ، (٤٥ سم) عن الصف الرابع . وأبعاده كأبعاد الصفوف السابقة . وفيه فراغ يتسع لأربعة قبور ، يأتي الأول منها على ارتفاع (٤٠ سم) من سوية المدفن . وفيه عظام جثة كبيرة ، وفي القبر الثاني بقايا جثتين كبيرتين وجثة صغيرة ، وفي القبر الثالث أيضاً عظام جثتين كبيرتين وجثة صغيرة . ولا يظن أن القبر الرابع قد استخدم . وقد التقطنا أمام هذا الصف اللوح المنحوت (رقم ٣) الذي يمثل طفلاً واقفاً ، ويظن أنه كان يزين القبر الثاني أو الثالث .

ولاتحوي بقية جدران هذا الايوان الجنوبي كما ذكرنا صفوفا أخرى من القبور . وكانت مطلية بالجص . وقد انهارت كلها .

وعثرنا في أنحاء هذا الايوان أيضاً على عدد كبير من السرج الفخارية .

١١ — إيوان المدفن الشمالي

وبني الجناح الشمالي موازيا للجناح الجنوبي . وهو يتألف أيضا من غرفة جنازية مستطيلة الشكل ، طولها (٤،٠٧ م) ، وعرضها (٢،٧٠ م) . ويصعب تعيين ارتفاعها ، لانهيار سقفها الذي كان كما تشير بعض الدلائل ، على شكل قبة مدورة كالمهد .

ولانظن أن هذا الايوان كان مزيناً بزخارف بنائية مشابهة لزخارف الايوان الغربي . والمعتقد أن سقفه وجدرانه كانت مطلية بالجص . وقد تهدمت ، ووجدناها بحالة سيئة للغاية .

وشاهدنا في الجدار الغربي من هذا الايوان آثاراً لصفين مهدمين من القبور (ك و ن) ، ارتفاع كل منهما متران ، وعرضه (٤٥ سم) ، وعمقه (١،٧٥ م) . وتفصلهما عن بعضهما مسافة تقدر بـ (٦٥ سم) . وقد التقطنا من أنقاضهما بعض عناصر عدة جثث كبيرة .

والتقطنا في أرض المدفن قطعتين من اللوح المنحوت (رقم ١٠) الذي يمثل طفلين واقفين ، وعدداً من السرج الفخارية ، ولوحة حجرية عليها كتابة تشير الى بناء المدفن ، وقد مر ذكرها ، وبعض الأحجار المقطوعة التي كانت بين عناصر قوسي الايوان الغربي والقاعدة الحجرية الواقعة فوق دكته .

. . . . .

١٢ — الزخارف المنحوتة في مدفن طاعي :

إذا كانت معارفنا في بناء مدفن طاعي ناقصة ، لفقدان العناصر الكافية اللازمة للقيام بدراسات تفصيلية عنه ، فان التماثيل والألواح المنحوتة في هذا المدفن متوفرة ، وتقدم للباحث معلومات كثيرة عن الفن التدمري في القرنين الثاني والثالث الميلاديين . وقد التقطنا عدداً كبيراً من التماثيل النصفية التدمرية والألواح المنحوتة أمام صفوف القبور في الايوانين الغربي والجنوبي . وكانت هذه التماثيل والألواح تزين القبور المذكورة ، بحيث أنها كانت تظهر أصحابها وكأنهم يطلون من نوافذ على زوار المدفن . وقد انهارت من مواضعها وسقطت على أرض الايوانين المذكورين ، وطغت عليها أمواه الفياضات المتعاقبة وطمرتها بما حملته من رمال . ويلاحظ ان القبور لم تسرق ، واننا نقبنا فيها فوجدناها على حالتها القديمة الأصلية ، وقد شاهدنا أيضاً التمثال النصفي (رقم ٣٧) ما زال ملتصقاً بالقبر السفلي للصف (م) من الجدار الجنوبي للايوان الغربي .

ويبلغ عدد القطع المنحوتة التي جمعناها سبعة وثلاثين . بينها تمثال كبير رقم (١٩) ، وهو يمثل كاهناً مضطجعاً على تخت جنازي ومتكئاً على وسادة ، والى يمينه امرأة متوفية قد جلست حذاء قدميه ، وبينها عشرون تمثالاً نصفياً لرجال ونساء ، منها ثلاثة عشر تمثالاً قد نقشت عليها نصوص آرامية تدمرية ، وسبعة تماثيل دون أية كتابة . وبينها أيضاً عدة ألواح منحوتة . منها

أربعة عليها بعض النصوص التدمرية . ولا ريب أنه كانت توجد بعض القطع الأخرى إلى جانب هذه القطع . لأن أجزاء منحوتة أخرى تحمل الأرقام (١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، وغيرها) تدلنا على وجود تماثيل وألواح أخرى لم يعثر عليها في المدفن لدى حدوث التنقيبات . غير أن العناصر المفقودة محدودة جداً . إذ أن عدد التماثيل النصفية والألواح التي وضعنا يدنا عليها يربو على الثلاثين كما ذكرنا ، كما أن عدد القبور المستخدمة في صفوف الأواوين الثلاثة يبلغ اثني وأربعين قبراً . ويلاحظ أن بعض هذه القبور لم تزين بصور نصفيه أو ألواح منحوتة ، وقد اكتفى أهل أصحابها بإغلاقها ببلاطات جصية ملساء[1] . لأن الصورة المنحوتة كانت تكلف بعض النفقات ، ولايقدر عليها إلا الموسرون[2] .

ونستدل من ذلك أنه لم يفقد من زخارف المدفن المنحوتة إلا بعضها ، وذلك لأن اللصوص الذين نهبوا زخارفه البنائية ، أهملوا التماثيل النصفيه والألواح المنحوتة ، وتركوها إما في مواضعها فانهارت على أرض المدفن من تأثير الرطوبة فيما بعد ، أو أنهم تركوها تسقط لدى انتزاعهم الأحجار المقطوعة والأعمدة والاقواس وذلك اعتقاداً منهم بعدم فائدتها .

ونستدل أيضاً من دراستنا لهذه الزخارف المنحوتة ، أن اللصوص لم يشوهوها متعمدين ، لأن معظمها في حالة جيدة جداً . ولايوجد إلا عدد ضئيل منها قد تحطم أو تشوه تشوهاً بسيطاً من جراء سقوطها من أماكنها على أرض المدفن . ومهما يكن فان هذه القطع المنحوتة يمكن عدها أجمل قطع تدمرية منحوتة يعود عهدها إلى القرنين الثاني والثالث الميلاديين . وتؤلف أكبر مجموعة تدمرية للتماثيل الجنازية النصفية ظهرت في مدافن هذه المدينة . وأكثرها منحوت نحتاً متقنـــاً . وهي تمثل رجالاً ونساءً واطفالاً يتشابهون أحيانا ، لأنهم من أسرة واحدة ويتوزعون على أجيال متعاقبة .

وعلى الرغم من وجود بعض الأخطاء الفنية فيها ، فانها تعبر تعبيراً قوياً عن أشخاص أصحابها وتظهر بصدق واضح الصفات العميقة لكل واحد منهم . فتراهم وكأنهم يعشون أمامنا خلالها من ذلك الزمن البعيد ، ويعرضون علينا نماذج من سكان تدمر قبل عصر زنوبيا ، فيعرفوننا بهيئاتهم الطبيعية ، وصفاتهم العرقية ، وألبستهم ، وأزيائهم ، وزيناتهم ، وحلاهم ، وأفكارهم ، وعواطفهم ، وأحلامهم .

---

(١) يصعب حصر عدد هذه القبور للتهدم الواسع في صفوفها ، وتكسر هذه البلاطات واختلاطها ببقية الأنقاض .

(٢) تدل دلائل كثيرة على أن أسرة طاعي كانت من الطبقة البورجوازية المتوسطة وليست على غنى وافر .

كأننا ننظر بواسطتها بمنظار سحري يقرب منا الماضي السحيق . وقد تساءلت مراراً أمام هذه الوجوه التي طلع علينا بها اكتشاف المدفن ، فيما اذا كان زميلي وصديقي الأستاذ هانري سيريغ الاختصاصي الكبير بالآثار التدمريه لايغير لدى مشاهدتها ، رأيه في ان النحت الجنازي في تدمر ، لم يكن نحتاً يتوخى إظهار شخصيات الموتى ، وان النحاتين لم يكونوا يمثلونهم تمثيلا واقعياً ، وان النماذج التي نراها في المدافن التدمرية هي نماذج غير شخصية (١) . وفي الواقع ان هذه التماثيل النصفية التي اكتشفناها حديثاً تحوي عدداً كبيراً من التفاصيل الفنية ، التي تدل على أن هيئات أصحابها المتوفين قد مثلها فنانون تعمقوا في دراسة أشخاص معاصريهم ، ومثلوها ، ومنحوا كلاً منهم صورة جميلة لها طابع خاص يميزها عن غيرها . ولا يحتمل ابداً أنهم كانوا قد اتخذوا في نحتهم لها بعض النماذج التي حذقوها في آثارهم . لاننا لو درسنا هذه التماثيل دراسة عميقة لرأينا أنها تختلف اختلافاً ظاهراً فيما بينها ، وتختلف أيضا عن التماثيل النصفيه التدمرية التي نعرفها من قبل . ولتأكد لنا انها تمثل عدداً كبيراً من الصفات الشخصية . ففيها نماذج طبيعية كثيرة من الذكور والاناث ، وتعابير شتى للهدوء والوقار ، والفرح الموقوف ، والألم المحبوس ، والرعب المكتوم ، الخ ... كما يتضح لنا أن الصور الممثله لم تكن هيئات عامة ابتكرتها مخيلات النحاتين ، وانما هي نماذج من لحم ودم التقطتها أعين فنانة كما تلتقط عدسة الفوتوغراف الرؤي التي أمامها ، فحبستها في هذه القوالب الحجرية الخالدة ، لتمثل بها حياة القرنين الثاني التدمريين الميلاديين ، بما فيها من صدق ، وغنى ، وإيمان بما وراء الحياة البشرية من خلود .

وسنصف بالصفحات الآتية كلاً من هذه التماثيل والألواح المنحوتة ، على حدة ، متبعين تسلسل الأرقام التي أثبتناها عليها في مراحل اكتشافها وبعد تقسيمها إلى مجموعات مرتبطة بأقسام المدفن التي احتوتها .

١٣ — تماثيل وألواح الايوان الجنوبي

لقد التقطنا من على أرض الايوان الجنوبي أمام صفوف القبور (خ ، ش ، ض ، ظ) ، تمثالا نصفياً يمثل كاهناً تدمرياً ، وآخر يمثل شاباً حليق الوجه ، ولوحاً حجرياً يمثل طفلا

(١) لقد عبر الاستاذ هانري سيريغ عن هذا الرأي في مقال نشره في :
Henri Seyrig : Syria . من مجلة 1937 جزء p. 34 ص :

وطفلة يمسكان بأيدي بعضهما ، وآخر يمثل طفلة واقفة . ويمكن نسبة هذه القطع المنحوتة إلى النصف الأول من القرن الثاني الميلادي .

التمثال النصفي لذي يمثل الكاهن رقم (١)

لقد وجد هذا التمثال امام صف القبور (خ) . ويظن انه كان يزين واجهة القبر الأول من هذا الصف . وهو منحوت في حجر جصي طري . ويبلغ ارتفاعه (٥٢ سم) . ويمثل راهباً حليقاً وعلى رأسه قلنسوة مخروطية الشكل[1] ويشاهد فوق كتفه الأيمن النص الآتي باللغة التدمرية:

صورة نبولا بن وهب اللات بن طاعي . واحسرتاه !

ويظهر من هذا التمثال[2] ان نبولا كان يبلغ العقد الرابع من عمره لما حضرته الوفاة . وأنه ضخم الجثة ، غليظ العنق ، عريض الوجه ، كبير العينين ، اللتين مثلتا بدائرتين متداخلتين ، ساهم النظرة . ولم يمثل حاجباه .

ويرتدي نبولا ثوباً ، قد زركشت ياقته بحبل من الحبيبات المستديرة ، ومعطفاً معلقاً على كتفه الأيسر بحلية مسدسة ، مثل فصها بقطعة من الفخار الأخضر المطلي . وياقة هذه المعطف مزركشة بزخارف نباتية . وساعدا الراهب مشمران . وفي اليد اليسرى إناء فيه حبات البخور ، وفي اليد اليمنى حنجور اسطواني للزيت المقدس[3] ، ولا ريب ان نية النحات أن يمثل نبولا ، وهو يقوم ببعض الطقوس أمام المذبح[4] .

---

(١) لهذه القلنسوة اثناءان عموديان في وجهها الأمامي ، وهما يدلان على أن قطعة من القماش كانت تبرز من هذه الجهة منها . وتشبه هذه القلنسوة قلنسوات الكهنة الممثلين في الجناح الغربي من مدفن يرحاي التدمري . انظر :
R. Amy et H. Seyrig : Becherches dans la nécropole de Palmyre, Syri϶, I936, الصحيفة ٢٤٨ وما يتبعها .

(٢) انظر صورة هذا التمثال ، وصور التماثيل الآتية في المقال المنشور في القسم الغربي من هذا العدد .

(٣) في أيدي التماثيل النصفيين (رقم ٨ ورقم ٢٣) اناءان وحنجوران مماثلان .

(٤) يشاهد عدة رهبان يقومون بمثل هذه الطقوس على الألواح المنحوتة التي عثر عليها في معبد (بل) التدمري . انظر مقال :
Henri Seyrig : Antiquités Syriennes, Syria 1934, من . 157 : الصحيفة
وكذلك فان الأستاذ هارولد انكولت نشر تمثالا لراهب يشبه تمثال نبولا في :
H. Ingholt Berytus, من مجلة 1935 . 66, : ص Pl. XVIII، اللوح

وأخيراً فان الراهب نبولا متمنطق بزنار معدني عريض ومزين بوردة ذات أربع تويجات

وقد تبين لنا استناداً على قواعد أساليب النحت التدمري التي نظمها هارولد انكولت

أن هذا التمثال يرجع عهده الى الفئة الأولى للنحت التدمري التي تقابل النصف الأول من القرن الثاني الميلادي [١] .

التمثال الصغير رقم (٢)

والتقطنا هذا التمثال الذي يبلغ ارتفاعه (٤٤ سم) من أرض هذا الايوان ، أمام صف القبور (ش) . ويظن أنه سقط من مدخل أحد قبوره . وهو من الحجر الكلسي الطري ، ويمثل شاباً حليقاً ، رأسه مكشوف . ويرى وراءه كفن معلق من الطرفين . وفوق كتفه الأيمن يشاهد النص الآتي باللغة التدمرية :

واحسرتاه ! حيران بن برشماش

وشعر حيران مصفف بتموجات خفيفة على جبهته ، وتقاطيع وجهه دقيقة ، وعيناه مرسومتان بدائرتين متداخلتين ، وحاجباه غير ظاهران . فهو من الفئة الأولى للنحت التدمري ، كالتمثال النصفي السابق .

---

(١) لقد قسم انكولت في كتابه :

« H. Ingholt Studier over Palmyrensk Spulptur, Kubenhavn,1928 ».

عهود النحت التدمري إلى ثلاثة :

الأول : يقابل النصف الأول من القرن الثاني الميلادي ، ويختص بأن النحاتين كانوا يمثلون خلاله عيون أشخاصهم بدائرتين متداخلتين ، ولا يرسمون حواجبهم ، ولا يجعلون لحى للذكور منهم ، ويتركون شعور النساء تسترسل على أكتافهن ، ويضعون مغازل وخيطاناً في أيديهن ، ويزينونهن بحلى على أشكال شبه منحرفة ، والأقراط فيها على أشكال عناقيد العنب .

والثاني : يقابل النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي ، ويختص أن صفات تماثيله الفنية تتلخص بما يلي : تمثل العيون بدوائر في وسط كل منها نقطة ، والحواجب ظاهرة ، والرجال ما عدا الرهبان منهم ملتحون . والنساء يمسكن بأذيالهن ، وحلاهن مسدسة الشكل الخ ...

والثالث : ويقابل النصف الأول من القرن الثالث الميلادي ، ويختص ان الأشخاص الممثلين في تماثيله وألواحه المنحوتة منحرفين بعض الشيء عن محاورهم ، ويتطلعون إلى أحد الجانبين ، والنساء يزحن أوشحتهن بأيديهن ، ويكثرن من التزين بالحلى الخ .

وقد بحث المس مكاي نحو الأستاذ انكولت في بحثها عن الحلى التدمرية ، فأكدت بعض الصفات التي ذكرناها في :

Mrs. D. Mackay : the Jewellery of Palmyra and its significance from Irac Vol. XI, Part. 2.



منظور للايوان الغربي من مدفن طاي

اللوح المنحوت رقم (٣)

لقد وجدنا هذا التمثال امام صف القبور (ظ) . ويبلغ طوله (٤٦٫٥ سم) ، وعرضه (٤١ سم) . وهو من الحجر الكلسي الصلب . وكان يزين القبر الأول من هذا الصف[١] ، لأنه يمثل طفلاً وقد أمسك بيد طفلة ، وهما واقفان . ويشاهد النص الآتي بينهما باللغة التدمرية :

قابورام بنت بوريفا ؛ طاعي بن بوريفا . واحسرتاه !

ويظهر أن قابورام أكبر من أخيها طاعي ، وقد ارتدت ثوباً طويلاً ينحدر إلى قدميها كأثواب النساء التدمريات . كما أنها جعلت على جبينها عصابة مزركشة ، وعلى رأسها قبعة ينحدر منها وشاحها ، وعقداً في عنقها . وذراعاها مكشوفان . وتمسك بيدها اليسرى عصفوراً . وأما أخوها الصغير طاعي فانه يلبس ثوب الرجال التدمريين ، ويشده إلى خصره نطاق ، وهو ممسك بيده اليمنى عنقوداً من العنب[٢] ، ولا يمكننا إلا أن نتأثر أمام هذا اللوح المنحوت من العاطفة التي تبدو من وضع هذين الطفلين اللذين ماتا وهما صغيران ، على الرغم من كثير من الأخطاء الفنية التي تتجلى في نحتها . إذ أنها مثلا دون أن تتخذ في ذلك نسب صحيحة ، كما أن خطوط جسميها غير حقيقية ، وبعيدة عن الواقع . كما أنها صورا من وجههما الأمامي في وضع ثابت . ويمكن تأريخ هذا اللوح أيضاً من النصف الأول للقرن الثاني .

اللوح رقم (٤)

نحت هذا اللوح في الحجر الجصي الصلب . وقد وجد أمام صف القبور (ض) . وهو

---

(١) حيث وجدنا بقايا جثتي طفلين (انظر ص ٢٣ من هذا المقال) .

(٢) سبق أن اكتشفت عدة ألواح تدمرية منحوتة تمثل طفلا أو طفلين في الوضع الذي تقدم وصفه . ومنها لوح يمثل رجلاً تدمريا اسمه (ماليكو بن زبديبول) الى جانب ابنته ، التي تمسك عصفوراً بيدها ؛ ولوح يمثل طفلا تدمريا آخر اسمه (نوربيل بن تيميي) ، وهو يمسك بيديه عصفوراً وعنقوداً من العنب ، ولوح يمثل الطفل (أوايزا) وأخته (بالناغا) ، ويمسك كل منهما عصفوراً وعنقوداً . انظر في كتاب :
(Chabot : Choix d'inscriptions de Palmyre, 120, 121, 131 : ص XXXVIII, 13,14, 16 اللوح)
ونشر أيضاً الأستاذ انكولت لوحاً آخر من ألواح متحف (ني كارلسبرغ غليو بتوتيك) في كوبنهاغ ، وقد مثل فيه طفلان ، وهما يمسكان عنقوداً وعصفوراً . انظر : بحثه الذي نشره في :
(Berytus, 1935 . 69, ص XXXI, 1 اللوح)

صغير الحجم ، ويبلغ ارتفاعه (٢٦ سم) ، وعرضه (١٦ سم) . ويمثل أيضاً طفلة ، وهي تمشي .
وعلى يسارها نقش النص التدمري الآتي :

واحسرتاه ! عبتشاي بنت عويد اللات . واحسرتاه !

ويظهر من تأمل صورة الطفلة عبتشاي أنها مرتدية ثوباً شبيهاً بثوب قابورام . وهي تمسك بيدها اليسرى عصفوراً ، وبيدها اليمنى عنقوداً من العنب .

* * *

١٤ — الألواح الحجرية المنحوتة والتماثيل النصفية التي وجدت في الإيوان الغربي

ووجدت أكثر الألواح الحجرية والتماثيل النصفية على أرض الايوان الغربي من هذا المدفن ، أمام صفوف القبور السبعة عشرة الجانبية . وهي تمثل عدداً كبيراً من أفراد أسرة طاعي الذين دفنوا في هذه القبور . ويعود تاريخها الى العهود الثلاثة للنحت التدمري ، ويمكننا أن نستقي منها ومن الكتابات المنقوشة عليها ، معلومات مختلفة عن الأزمنة التي عاش فيها أفراد أسرة طاعي ، وعن تسلسلهم ، وعن قرابتهم من بعضهم .

وقد جعلنا هذه التماثيل النصفية والألواح في فئتين ، تحوي الأولى ما التقطناها على أرض القسم (آ) من الايوان الغربي ، وتحوي الثانية ما جمعناه من أرض القسم (ب) من هذا الايوان .

* * *

١٥ — الألواح المنحوته والتماثيل النصفية التابعة للقسم (آ) من الايوان الغربي

يبلغ عددها جميعها (٢٣) قطعة ، ومنها لوح حجري ضخم ، وعدد من القطع التي يظن أنها انفصلت عنه ، ولوح متوسط و (١٢) تمثالاً نصفياً ، ورأس كاهن ، ورأس رجل ، ورأس أمرأة . ويعود عهد معظمها إلى النصف الأول من القرن الثاني الميلادي ، وبعضها الى النصف الثاني من هذا القرن ، وبعضها إلى النصف الاول من القرن الثالث . وإليكم وصفها باختصار :

التمثال النصفي رقم (٥)

نحت هذا التمثال من الحجر الجصي الصلب . ويبلغ ارتفاعه (٥٣ سم) . وقد وجد أمام صف القبور (و) وكان يزين أحدها . وهو يمثل رجلاً تام الرجولة يبرز بنحت عمقه (١٢ سم) على أساس مستوي . ويشاهد إلى جانبه الأيمن النص التدمري الآتي :

صورة عوجا بن بوريفا

ويختص شعر عوجا بن بوريفا أنه أجعد ومصفوف على جبهته الضيقة ، وأن لحيته خفيفة .

وهو يرتدي الثوب التدمري الذي يعلوه معطف . وتستند يده اليمنى على حزمة من ثنيات هذا المعطف . وفي إصبع من أصابع يده اليسرى خاتم . أما عيناه فانهما مطليتان باللون الأسود . وأكبر الظن أن كل أجزاء هذا التمثال النصفي كانت مطلية بالألوان . وما تزال آثار لون قرمزي أحمر ظاهرة في بعض جهاته .

ويمكن تصنيفه في الزمرة الثانية للنحت التدمري ، واعتبار عوجا بن بوريفا من سكان تدمر في النصف الثاني للقرن الثانى .

التمثال النصفي رقم (٦)

لقد التقطناه أمام صف القبور (ه) . وهو من الحجر الجصي الصلب . ويبلغ ارتفاعه (٥٤ سم) ، وعرضه (٤٢ سم) ، وعمق النحت فيه (١٠ سم) . ويمثل امرأة نصفاً ، ذات تقاطيع منتظمة ، وعينين لوزيتين ، ممثلتين بدائرتين داخل كل منها نقطة . وعلى وجهها مسحة من حزن . وترفع يدها اليمني إلى حذاء كتفها ، لتزيح طرفاً من أطراف وشاحها الذي يجلل رأسها فوق عمرة معقودة من القماش . وعلى جبينها عصابة مزركشة فيها زخارف أفقية . وتظهر تحت هذه العصابة خصلات شعرها المصفف ثم تختفي خلف وشاحها . وعلى الجهة اليسرى من صدرها حلية ذات شكل شبه منحرف ، فيه وردة ، وفي خنصر يدها اليسرى خاتم له فص .

ويظهر من دراسة هذا التمثال أنه يجمع صفات الزمرتين الأولى والثانية للنحت التدمري . ويظن أنه من منتصف القرن الثاني الميلادي .

التمثال رقم (٧)

وجدنا هذا التمثال محطماً ، وجمعنا قطعه الثلاث أمام صف القبور (ه) . ويبلغ طوله (٥٨ سم) ، وعرضه (٤٢ سم) ، وعمق النحت فيه (١٨ سم) . وهو يمثل كاهناً شاباً أمرد . وعلى يساره يمكن قراءة النص الآتي باللغة التدمرية :

. . . . . ابن بوريفا طاعي . واحسرتاه !

ويرتدي هذا الكاهن ثوباً على الطريقة الاغريقية ، وعلى رأسه قلنسوة كهنوتية اسطوانية زينت واجهتها الأمامية بوردة . وعيناه كبيرتان ، وكل منهما ممثلة بدائرتين متداخلتين . ووجهه بيضوي الشكل . وهو يمسك بيده اليمنى غصناً فيه عدة أوراق .

وأكبر الظن أن هذا التمثال من الزمرة الأولى للنحت التدمري .

التمثال النصفي رقم (٨)

وهو من الحجر الجصي الصلب . ويبلغ ارتفاعه (٦٦ سم) ، وعرضه (١٦،٥ سم) . وقد تجزأ من وقوعه على أرض المدفن أمام صف القبور (أ) إلى قطعتين . ويمكن أن يكون قد زين القبر الثاني في هذا الصف ، حيث وجدنا هيكلاً عظمياً ضخما يتفق مع الهيئة الكبيرة للشخص الممثل . وهذا الشخص كاهن حليق اللحية ، وعلى رأسه القلنسوة الاسطوانية المزينة بالأكليل الكهنوتي ، الذي تتوسطه صورة صغيرة لكاهن .

وتقاطيع وجه هذا الكاهن منتظمة ، وأنفه مستقيم ، وفمه دقيق ، وعيناه لوزيتان ، وكل منها ممثلة بدائرتين متداخلتين ، وحاجباه خفيفان جداً .

ويلبس هذا الكاهن المعطف المسمى (كلاميد) المعلق على كتفه الأيسر بحلية مستديرة ، في وسطها زخارف مسدسة الشكل . وفي وسطه نطاق عريض مزين بورقتين نباتيتين . وذراعاه مكشوفان ، ويمسك بيده اليمنى حنجوراً اسطواني الشكل للزيت المقدس ، وبيده اليسرى إناءً فيه حبات البخور [١] .

ويمكن تصنيف هذا التمثال النصفي في الزمرة الأولى من زمر النحت التدمري . ونعتقد أنه أجمل تمثال في هذه الزمرة ، لعمق نحته ، وجمال أسلوبه ، وقوة الشخصية المعنوية المتجلية فيه .

التمثال النصفي رقم (١٧)

التقط هذا التمثال النصفي أمام صف القبور (ب) . وهو من حجر الجص الصلب . ويبلغ ارتفاعه (٥٢ سم) ، وعرضه (٣٩ سم) . ويمثل رجلا ملتحياً يوجه نظره جانباً ويمكن قراءة النص الآتي باللغة التدمرية فوق كتفه الايسر :

واحسرتاه ! بوريفا بن عوجا

وشعر بوريفا هذا كثيف ، ويتألف من خصلات سميكة ، ونظن ان عينيه كانتا مطليتين بطلاء أسود . ويتبدى تعبير حزين على وجهه . وتحيط بهذا الوجه لحية كالاطار تتألف من

---

(١) إنه يشبه في ذلك الكاهن الممثل في التمثال النصفي رقم (١) . انظر الصحيفة (٢٧) من هذا المقال .

صفوف من خصلات الشعر الدقيقة . وشكل هذه اللحية غريب ، وكأنها شبيهة بلحى طلاب الفنون الجميلة في باريس .

ويستر جسمه فوق ثوبه معطف له ياقة مزركشة بحبل من الحبيبات . ويده اليمنى مثنية على صدره واليسرى تقبض على طرف من أطراف معطفه .

ويمكن تصنيف هذا التمثال النصفي في الزمرة الثانية من النحت التدمري . وإن صح ذلك ، فان صاحبه بوريفا بن عوجا مات في النصف الثاني من القرن الثاني (١) .

التمثال النصفي رقم (١٨)

وهو من الحجر الجصي الصلب أيضا ، ويبلغ طوله (٥٠) سم ، وعرضه (٤٠ سم) وعمق النحت فيه (١٢ سم) . وقد التقط أمام صف القبور (ب) . وأكبر الظن أنه سقط من أحد قبوره .

ويمثل شاباً حليقاً ، خلفه كفن معلق من نهايتيه . وفوق كتفه الأيسر نص باللغة التدمرية يمكن قراءته كما يلي :

مقيمو بن طاعي . واحسرتاه !

ويعلو رأسه أكليل من أغصان النبات ، وتنتظم تحت هذا الاكليل خصلات شعره على جبينه . وأنفه وأذناه كبيرة ، وعيناه ممثلتان بدائرتين داخلها نقطتان ، وأشير الى حاجبيه بخطوط بسيطة . ويستر جسمه معطف ، وذراعاه مخفيان في ثنيات هذا المعطف ، ولا يظهر منهما إلا اليد اليسرى التي تقبض على طرف من اطرافه .

ويمكن نسبة هذا التمثال الى منتصف القرن الثاني الميلادي .

اللوح الحجري المنحوت رقم (١٩)

وكان يمثل مشهداً واحداً ، يزين صدر الايوان الغربي فوق التابوت الحجري الذي تقدم وصفه (٢) . ويبلغ طوله (٢،٠٢ ٣م) ، وارتفاعه (١،١٠ م) ، وعمق النحت فيه (٣٧ سم) . وقد وجدناه محطماً الى ثلاثه أجزاء أمام التابوت المذكور . وتكمل زخارف هذا التابوت زخارف

---

(١) نظن ان بوريفا بن عوجا هو شقيق مولح وبولايا ابني عوجا الممثلين في اللوح (رقم ٢٠) الذي سيأتي الكلام عنه في ص (٣٧) .

(٢) انظر الصحيفة (١٥) من هذا المقال .

اللوح المنحوت ، ويلاحظ أنه قد مثل على صفحة التابوت الأمامية قائمتي تخت جنازي . ولو تأملنا ملياً في هذه الصفحة الأمامية لشاهدنا آثاراً تدل على أنه قد مثلت عليها سابقاً ثلاث صور نصفيه أزيلت معالمها تماماً . كما اننا نلاحظ أن القسم العلوي من التابوت في الجهة الأمامية أقل عرضاً من القسم الخلفي ، مما يجعلنا نعتقد أن هذا التابوت قد قطع من هذه الجهة في عصر ما بعد عصر استخدامه ، ليجعل متفقا مع حاجة من الحاجات .

أما اللوح المنحوت نفسه فانه يمثل كاهناً تدمرياً مضطجعاً على فراش مزركش بأزهار وخطوط هندسية معينية . وقد جلست امرأة متوفية تحت قدميه . ويتكىء الكاهن بساعده الأيسر على أريكة . وتدل ثيابه التي تشبه ملابس البارثيين (١) القدماء أنها من أول القرن الثاني الميلادي (٢) .

ويرتدي هذا الكاهن ثوباً طويلاً ، أطرافه وياقته مزركشة بعروق نباتية وأزهار . وتزين كتفه الأيمن حلية مستديرة . وتحت الثوب سروال ينحدر الى القدمين . وعلى الساقين فوق السروال صفحات جلدية مزخرفة .

وقد لاحظنا في هذا اللوح المنحوت ، ان ثياب الكاهن قد تأكلت على مسافة (٨٢ سم) ، في قسمها الأوسط ، وأن تأكلها كان عمداً بعد نحتها . كما أننا رأينا إلى الجانب الأيمن من الراهب أمام الأريكة قدم رجل محيت جميع آثار جسمه . وكذلك فان كتف الكاهن الأيمن قد نحت من مادة جصية أضيفت إلى حجر اللوح الجصي القاسي . ونستدل مما تقدم أن بعض عناصر اللوح الحجري الأولى قد أزيلت معالمها ، وذلك ليجعل متفقاً في عصر أتى بعد عصر نحته الأول ، مع رغبة من الرغبات . ونتساءل الآن كيف حدث ذلك ؟

ويمكن الرد على هذا التساؤل بدراسة القطع المنحوتة ذات الارقام (١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٣٣) . إذ أنها تمثل كما سنرى رأسين لشاب وامرأة ، وبعض أجزاء ألبسة تدمرية ، ويظن أنها قد فصلت عن اللوح الأصلي . كما أن عرض اللوح رقم (٢٠) الذي سندرسه بعد قليل (٨٢ سم) ،

---

(١) البارثيون فرع من فروع شعب السكيت ، وقد استولوا على البلاد الايرانية وتأثروا من مدنيتها . أنشأ أحد زعمائهم (أرزاس) مملكة قوية في سنة (٢٥٠ ق . م) . واستمر حكم سلالته الأرزاسية من بعده الى سنة (٢٢٨ ب . م) . وكان لملوكها وقائع كثيرة مع الرومان . وقد خلفتها السلالة الساسانية في حكم ايران .

(٢) اقرأ مقال الأستاذ هانري سيريغ ، الأسلحة والألبسة الايرانية في مجلة : سيريا ، عدد سنة ١٩٣٧ ، ص ٣٤ ، وما بعدها .

وينطبق طرفه السفلي على المكان الذي نحت في جسم الكاهن . وقد جربنا فوضعنا الثاني على الأول فانطبق عليه تماماً .

وكذلك فاننا لو أمعنا النظر في رأس الكاهن ، وقد التقطناه منفصلاً من جسمه وملقى أمام التابوت في أرض الايوان الغربي ، لوجدنا اختلافاً ظاهراً بين نحته وبين نحت الجسم . إذ أنه تعلو هذا الرأس قلنسوه مستطيلة مزينة باكليل في وسطه صورة صغيرة لراهب . وتقاطيع الوجه فيه دقيقة ، وعليها تعبير قاسي ، وعيناه مرسومتان بدائرتين وسط كل منها نقطة ، وحاجباه مبينان في أسفل الجبهة . ويمكن نسبة نحته إلى النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي . على حين أن نحت جسم الكاهن من النصف الأول من هذا القرن .

ثم أن الحجر الصلب الذي نحت فيه هذا الرأس ليس من نوع حجر الجسم . إذ أنه أملس وليست فيه حبيبات رملية كالحبيبات التي تشاهد في الحجر الذي نحت منه الجسم الذي يختلف عنه باللون .

ويستنتج من ذلك إن رأس الكاهن الأول قد نزع عنه ، وذلك لدى دفن مولع وبولايا (١) واستعيض عنه بالرأس الثاني الحالي . ويؤكد لنا ذلك أن خطوط الرأس الثاني لا تنسجم كل الانسجام مع خطوط الجسم الأخرى . كما أن القطع ذات الأرقام (١٣ ، ١٤ ، ١٥) ، التي تمثل كما ذكرنا بعض أجزاء ألبسة تدمرية ، وهي نوع حجر جسم الكاهن ، ويظن أنها من الأجزاء التي نزعت منه .

وخلاصة القول أن رأس تمثال الكاهن القديم قد فصل عمداً عن جسمه ، واستعيض عنه بالرأس الحالي . ويظن أن سبب ذلك أن الرأس الحالي هو رأس الكاهن الذي قام بالطقوس الجنازية لدى موت مولع وبولايا ، وأن أقرباء هذين الشخصين اكتفوا بتغيير رأس الكاهن القديم الممثل بهذا التمثال منذ زمن إنشاء المدفن بدلاً من أن يغيروا كل التمثال . وأزالوا الأشخاص الذين كانوا حول الكاهن ، كما أزالوا الصور النصفية التي كانت على صفحة التابوت الأمامية . ونحتوا جزءاً من طرفي هذا التابوت لكي يجعلوه منسجماً مع زخارف بناء صدر الايوان التي ليس لنا عنها إلا فكرة بسيطة جداً .

وأخيراً فان الكاهن يمسك بيده اليمنى إناءاً ذا أخاديد شاقولية . وقد جلست على قدميه امرأة متوفية ، جسمها أصغر من جسمه . وهي ملتفة بمعطف ، فوقه وشاحها المنحدر من على رأسها .

---

(١) للمثلين في اللوح رقم (٣٠) الذي سندرسه في الصحيفة (٣٧) كما ذكرنا في غير هذا الموضع .

وعلى جبينها عصابة مزركشة ، وخصلات شعرها متهدلة من الجانبين .

يمكن إرجاع عهد نحت جسم الكاهن الى فاتحة القرن الثاني ، وزمن نحت رأسه الى النصف الثاني من هذا القرن .

اللوح رقم (٩)

ويمثل رأس كاهن . وهو يتمم اللوح (١٩) . ويبلغ ارتفاعه (٢٨،٥ سم) . وقد تقدم ذكره .

القطعة رقم (١١)

وتمثل رأس امرأة . ويبلغ ارتفاع هذا الرأس (٢٣،٥ سم) . ويمكن أن يكون لأحد الأشخاص الذين أزيلت صورهم من اللوح (١٩) . ويشاهد وشاح عليه ، وعلى جبينه عصابة مزركشة ومزينة بمواضيع هندسية .

القطعة رقم (١٣)

وتمثل جزءاً من قلنسوة مستطيلة لرأس كاهن . وهو الرأس الذي نظن أنه كان لجسم الكاهن في اللوح رقم (١٩) ، قبل أن يوضع عليه الرأس رقم (٩) . ويشاهد في هذه القطعة قسم من التاج الكهنوتي ، وصورة صغيرة لكاهن ضمن دائرة صغيرة .

القطعة رقم (١٤)

وتمثل جزءاً من صدر رجل تدمري . ويبلغ طولها (١٧،٥ سم) ، وعرضها (٨ سم) .

القطعة رقم (١٥) :

وهي تمثل قسماً من ثوب تدمري منفصل عن صدر صورة منحوتة لرجل . ويبلغ طولها (١٩ سم) ، وعرضها (١٣ سم) .

القطعة رقم (٣٣)

وتمثل رأس شاب . ويختص هذا الرأس أنه لم يكن لتمثال نصفي ، بل لمجموعة منحوتة . وأكبر الظن أنه كان من جملة الأشخاص الممثلين في اللوح (١٩) ، والذين أزيلت صورهم لدى وضع الرأس الثاني للكاهن بدلاً من رأسه الأول . وهو من الحجر الجصي الصلب . ويبلغ طوله (٢٠ سم) ، وعرضه (١٥ سم) .



اللوح (١) — التمثال النصفي رقم (٨) الذي يمثل كاهناً يحمل بيده إناءاً للبخور وحنجوراً للزيت المقدس .



اللوح (٢) — اللوح الحجري رقم (١٩) الذي يمثل كاهناً مضطجعاً إلى جانب امرأة متوفية . وكان هذا اللوح موضوعاً على التابوت الحجري في صدر الايوان الغربي



اللوح (٣) — اللوح الحجري رقم (٢٠) الذي يمثل السيدة (بولايا) وأخاها (مولع) ، وهما متكئان على وسادة .



اللوح (٤) — لوح حجري رقم (٣٤) يمثل شابة تدمرية واقفة .

وهو منحوت بدقة ، وشعره أجعد ومرفوع ، وجبينه واسع ، وأنفه كبير ، وفمه صغير .

اللوح رقم (٢٠)

وهو أجمل ألواح المدفن على الاطلاق . وقد عثر عليه إلى جانب اللوح (١٩) . ويبلغ طوله (٥٥سم) ، وعرضه (٨٢سم) . ويدلنا حجمه على أنه لم يكن يزين أي قبر من صفوف القبور . وإنما كان موضوعاً فوق اللوح المتقدم أي فوق جسم الكاهن إلى جانب المرأة[١] .

وهو يمثل رجلاً وامرأة جالسين فوق فراش مزركش ، ومتكئين على أريكتين . ويرى وراء الرجل كفن معلق ، ويقرأ النص التدمري الآتي فوق كتفه الأيمن :

صورة مولع بن عوجا بن بوريفا

ويرى على رأس مولع أكليل من أوراق النبات ، في وسطه زهرة . وشعره أجعد مثل لحيته وثوبه مزركش وعليه زخارف كثيرة . وهو يمسك بيده اليسرى صحفه . وتجلس إلى جانبه شقيقته بولايا إذ أن النص المحفور فوق كتفها الأيمن يسميها وهو كما يلي :

صورة بولايا بنت عوجا بن بوريفا[٢]

ويظهر أن بولايا هذه كانت من كبيرات السيدات التدمرية الغنيات . إذ أن مظاهر غناها ممثلة بصندوق الجوهرات الموضوع على قاعدة صغيرة إلى جانبها[٣] ، وبحلاها الكثيرة التي تتزين بها . إذ أنه تشاهد عصابة على جبينها ، وثلاثة عقود بأشكال مختلفة في عنقها ، وإسواران في كل يد من يديها . وهيئتها وقورة . وهي تلبس ثوباً يلف جسمها وينثني عليه بانثناءات جميلة جداً . وذراعاها مكشوفان ، ويستريح الأيمن منها على الأريكة التي تستند عليها ، ويرتفع الأيسر

---

(١) مما يجعلنا نظن أن الشخصين الممثلين فيه قد دفنا في قبرين من القبور الثلاثة المهيئة في التابوت وفوق التابوت .

(٢) نظن أن مولع وبولايا ابني عوجا هما شقيق وشقيقة بوريفا بن عوجا الممثل في التمثال النصفي رقم (١٧) الذي سنتكلم فيه بعد قليل .

(٣) في الغرفة التدمرية في متحف دمشق لوح منحوت يمثل سيدة تدمرية في وضع بولايا وأمامها خادمها وهو يقدم لها صندوق حلاها ، انظر كتاب :
سليم وأندرة عبد الحق ، كاتلوج الجناح اليوناني – الروماني في متحف دمشق ، دمشق ١٩٥١ ، ص (٣٥) ، اللوح (١٤) ، الصورة (١) .

إلى وجهها حيث تمسك بيدها ذقنها كأنها في وضع تفكير وتأمل في مصيرها . وعينا بولايا كعيني أخيها مولع ممثلتان بالدهان الأسود .

والخلاصة أن كل ما في هذا اللوح جميل ومنسق ، ونميل إلى نسبته إلى آخر القرن الثاني الميلادي .

التمثال النصفي رقم (٢١)

وهو من الحجر الجصي . ويبلغ ارتفاعه (٥٠،٥ سم) ، وعرضه (٣٩ سم) ، وعمق النحت فيه (١٤ سم) . وقد عثر عليه أمام صف القبور (ز) ، ويظن انه كان يزين أحد قبوره .

ويمثل هذا التمثال امرأة نادبة ، ويشاهد صدرها عارياً . ويقرأ النص الآتي باللغة التدمرية فوق كتفها الايسر :

عومابي بنت مولع[١] . واحسرتاه!..

ويجلل رأس عومابي وشاح فوق عمرتها ، وينسدل على كتفيها ، وتظهر تحت عصابتها المزركشة خصلات شعرها الأجعد . وكانت عيناها ملونتين . وقرطاها مستديران . وصدرها مكشوف ، وعليه آثار ظاهرة لخمشات أظافرها . ويستدل من ذلك أن النساء النادبات التدمريات كن يخمشن صدرهن شأن النادبات حالياً في بعض البلاد الشرقية .

ويختص هذا التمثال النصفي أنه غير منحوت نحتاً متقناً . وتظهر أسواء النحات وأغلاطه خاصة في رسم يد النادبة اليمنى التي تمسك ذيلاً من اذيال ثوبها ، وفي يدها اليسرى المسبلة . ويمكن نسبته بعد دراسة صفاته الى الزمرة الثالثة من النحت التدمري .

ويمكننا مقارنة تمثال هذه النادبة بما نعرفه من تماثيل اخرى للنادبات التدمريات . اذ أن النحاتين التدمريين اعتادوا ان يمثلوهن حاسرات الصدر تماماً او حاسرات القسم الايمن منه فقط . ويوجد تمثال نصفي في متحف (ني — كارلسبرغ) في كوبنهاغ[٢] ، يمثل نادبة موشحة بوشاح ، وطرف صدرها الايمن مكشوف فقط[٣] . ويوجد لدينا في متحف دمشق

---

(١) يظن أن مولع هذا هو مولع الممثل في اللوح مع شقيقته بولايا رقم (٢٠) الذي جرى الحديث عنها سابقا .

(٢) انظر في كتاب :

J - B. Chabot, choix d'inscriptions de Palmyre« XXX6. » اللوح

(٣) درس الأستاذ سيريغ هذا التمثال النصفي في مقال نشره في القسم الغربي من الحوليات الأثرية العدد الأول ، عام ١٩٥١ ، ص (٣٢) ، صورة (٢) .

لوح منحوت يمثل نادبة ثانية تدمرية على شكل عروس ذات جناحين من عرائس البحر . وهي تعزي إحدى النساء المتوفيات . وصدرها مكشوف من طرفه الأيمن أيضاً . وكذلك يوجد لوح منحوت لنادبة تدمرية اسمها (عمباي) ، وهي تعانق ابنها (زبيدا)[١] ، ووشاحها ملقى على ظهرها ، وثوبها معلق على كتفها الأيسر بحلية مستديرة ، على حين أن طرف ثديها الايمن مكشوف ، وتتجلى عليه آثار اظافرها[٢] . وقد صنف الاستاذ انكولت هذا اللوح في منتصف القرن الثاني . ودرس لوحاً آخر[٣] يمثل نادبة اسمها بنت عبد عسطور بن يرحبول ، وهي تطوق بذراعها الأيسر ابنتها (حجا) ، وصدرها مكشوف كله . وهذا اللوح كلوح عومابي من القرن الثالث الميلادي . وأخيراً فان المؤرخ (شابو) نشر صورة تمثال نصفي لنادبة اسمها (عليتا) ، وصدرها مكشوف كله ، ويعود عهده الى القرن الثالث الميلادي (٤) .

التمثال النصفي (رقم ٢٢)

التقط هذا التمثال من أرض المدفن بين صفي القبور (و ، ز) . ويظن أنه كان يزين مدخل القبر الثاني من الصف (ز) ، وهو من الجص الطري ، ويبلغ طوله (٦١) سم ، وعرضه (٤٥,٥ سم) . وهو يمثل رجلاً ملتحياً ، ويقرأ النص الآتي باللغة التدمرية فوق كتفه الايسر :

طاعي بن مقيمو بن طاعي . واحسرتاه !..

ويلبس طاعي ثوباً ذي طابع اغريقي . ويلتف طرف هذا الثوب على ذراعه الأيسر . أما يده اليمنى فانها مرتكزة على صدره . ويبدو على محياه تعبير هادىء يزيد رصانته شعره الكثيف ، ولحيته الكثة .

وهذا التمثال جميل . ويبلغ عمق النحت فيه (١٤,٥ سم) . ويمكن تصنيفه في الزمرة الثالثه من النحت التدمري المعاصرة للنصف الاول من القرن الثالث .

التمثال النصفي (رقم ٢٣)

وهو من الجص الصلب . ويبلغ طوله (٥٣ سم) ، وعرضه (٤٢ سم) . وقد وجد

---

(١) انظر مقال الاستاذ هارولد انكولت (Ingholt) الصحيفة (٤٠) من مجلة (Berytus) ، لسنة ١٩٣٤ .

(٢) لقد درس السيد انكولت ، لوحين مماثلين لهذا اللوح ، وأحدهما محفوظ في متحف استانبول ، والثاني في متحف (ني ـ كارلسبرغ) في كوبنهاغ ، المصدر السابق .

(٣) انظر مقاله : اللوح ٦ ص ١٢٠ من مجلة Berytus لعام ١٩٣٨ .

(٤) انظر كتابه : Choix d'Inscriptions Palmyreniennes الصحيفة ١١٩ ، اللوح (٣٦) ، الصورة (١٣) .

أمام صف القبور (ح) . ويمكن أن يكون قد سقط من قبره الثالث .

ويمثل كاهناً شاباً أمرد . على رأسه قلنسوة كهنوتية اسطوانية غير مزينة . ووجهه مستدير ، وأنفه مستقيم ، وعيناه واسعتان وممثلتان بدائرتين متداخلتين وحاجباه غير ظاهرين .

وذراعاه مكشوفان ، وهو يمسك شأن الكاهنين ، في التمثالين النصفيين (رقمي ٨و١) إناء البخور وإناء الزيت .

التمثال النصفي (رقم ٢٤)

ويبلغ طوله (٥٣ سم) ، وعرضه (٣٨،٥ سم) . وهو من الحجر الجصي القاسي . وقد وجد أمام صف القبور (ج) . وقد كان يزين أحد قبوره . ومثل فيه رجل ملتح ، وفوق كتفه الأيسر ، يقرأ النص الآتي باللغة التدمرية ، وهو منقوش وملون باللون الاحمر :

بوريفا بن مقيمو بن طاعي . واحسرتاه ! . . .

ولبوريفا هـــذا وجه عريض وجبين مقطب ، وشعر ذو تجاعيد متموجة ، ولحية كثة ، ونظر حالم حزين .

ويلف جسمه ثوب ، ويضع يده اليمنى على صدره ، أما يده اليسرى فانها تمسك مفتاحاً .

ويمكن تصنيف هذا التمثال في الزمرة الثالثة من النحت التدمري .

التمثال النصفي (رقم ٢٥)

وهو من الحجر الجصي الصلب . ويبلغ طوله (٤٤ سم) ، وعرضه (٣٨ سم) ، وقد التقط أمام صف القبور (ح) .

ويمثل امرأة شابة ملتفة بمعطف ذي ثنيات جميلة . وعلى رأسها وشاح وعلى جبينها عصابة تنتظم خصلات شعرها على طرفيها . وفي أذنيها قرط ، وفي جيدها قلادة .

ويمكن نسبة هذا التمثال إلى الزمرة الثانية من النحت التدمري .

التمثال النصفي (رقم ٢٦)

يبلغ ارتفاعه (٥٠ سم) ، وعرضه (٣٩ سم) . وهو من الحجر الجصي الطري . وقد عثر عليه بين صفي القبور (ز ، ح) .

وهو يمثل رجلاً . وجميع ملامح وجهه ، وتفاصيل ثيابه مهشمة ، بسبب سقوطه من موضعه على أرض المدفن .

التمثال النصفي (رقم ٢٧)

وهو من الحجر الجصي الصلب . وقد التقط أمام صف القبور (د) ، ويظن أنه كان يزين القبر الثاني فيه . ويبلغ طوله (٥٢ سم) ، وعرضه (٣٧ سم) .

ويمثل امرأة على رأسها وشاح . وفوق كتفها الأيمن النص الآتي باللغة التدمرية :

رتع بنت مدلع بنت مقيمو . واحسرتاه !.

وتزيح رتع بنت مدلع وشاحها بيده اليمنى الذي يجلل رأسها فوق عمرتها . وشعرها مصفف خلف رأسها ، ووجهها عريض ، وأنفها كبير ، ونظرتها حزينة . وهي تشبه الرجل بوريفا الممثل في التمثال رقم (٢٤) شبهاً غريباً ، مما يدعوننا إلى القول إنها قريبته المباشرة (١) .

ويظن أن هذا التمثال من الزمرة الثالثة للنحت التدمري .

. . . .

١٦ـ الألواح المنحوتة والتماثيل النصفية الملتقطة على أرض القسم (ب) من الايوان الغربي .

يبلغ عددها (١٢) قطعة ، ومنها خمسة تماثيل نصفية لرجال ونساء ، وأربعة ألواح منحوتة وثلاث قطع منفصلة عن تمثال ولوح . ويعود عهدها إلا واحداً منها ، إلى النصف الأول من القرن الثاني الميلادي .

وإليكم وصفها بايجاز :

التمثال النصفي (رقم ٢٨)

يبلغ طوله (٥٤ سم) ، وعرضه (٣٤ سم) . وهو من الحجر الجصي الطري ، وقد وجد أمام صف القبور (س) .

ويمثل جذع امرأة ، على جبينها عصابة عريضة مزركشة . وأنفها كبير ، وعيناها جاحظتان ، وتقاطيع وجهها غريبة ، وتفردها عن غيرها من التماثيل النصفية . وفي أذنيها قرطان على شكل عنقودين من الأعناب . وشعرها مصفف على جديلتين متدليتين على كتفها تحت وشاحها . وهي ترفع يدها اليمنى ، وتمسك مغزلاً ودرّارة من الخيطان بيدها اليسرى .

وتدل الصفات الفنية لهذا التمثال أنه من الزمرة الأولى للنحت التدمري .

---

(١) وفي الواقع ان رتع بنت مدلع هي ابنة أخي بوريفا بن مقيمو الممثل في التمثال النصفي رقم (٢٤)

التمثال النصفي (رقم ٢٩) :

طوله (٤٨ سم) ، وعرضه (٤٢ سم) ، وهو من الحجر الجصي الصلب . وقد التقط أمام صف القبور (ع) . ويظن أنه كان يزين القبر الثاني منه .

ويمثل رجلاً وراءه كفن منشور ومعلق من طرفيه . ويقرأ فوق كتفه الأيسر العبارة الآتية باللغة التدمرية :

نبولا بن معنو طاعي . واحسرتاه !

وشعر نبولا موزع على خصلات غليظة تهدل على جبينه وتصل إلى حاجبيه . وشارباه طويلان ، ولحيته تحيط بوجهه كالاطار ، وعيناه واسعتان ، وبؤبؤاهما مطليان باللون الأسود ، وأنفه طويل . وكأنه قروي من القرويين الذين نصادفهم اليوم في أنحاء مختلفة من الريف السوري .

ويلف جسم نبولا معطف غليظ ، وتقبض يده اليسرى على مفتاح .

ويمكن تصنيف هذا التمثال في الزمرة الثانية ، من النحت التدمري .

التمثال النصفى (رقم ٣٠) :

وجدنا هذا التمثال أمام صف القبور (ق) ، ويظن أنه كان يزين القبر الأول منه ، وهو من الحجر الجصي الطري . ويبلغ طوله (٤٧ سم) ، وعرضه (٤٥ سم) .

ويمثل رجلاً حليقاً . ويتصف أنه متحطم إلى عدة قطع . وقد لاحظنا أن رأسه انفصل عن جسمه منذ الزمن القديم ، وأن المكلفين بالعناية بالمدفن ، قد ألصقوه بالجص . ولما سقط على الأرض كغيره من التماثيل ، انفصل الرأس عنه مرة ثانية ، وانفصلت عنه أيضاً القطعة التي تمثل صدره ويديه . ولم يبق من العبارة التدمرية التي كانت محفورة فوق كتفه الأيسر إلا الكلمتان الآتيتان :

(... ابن) بوريفا طاعي

وشعره كثيف ، ومصفوف بانتظام على جبهته ، وله أنف كبير ، ووجه عريض ، وعينان مرسومتان بدائرتين متداخلتين . ويلتف بمعطف ، ويمسك بيده اليسرى إناءاً فيه غصن نباتي .

ونعتقد أنه من أقدم تماثيل هذا المدفن ، ويمكن تصنيفه في الزمرة الأولى من النحت التدمرى .

القطعة رقم (١٢) :

وهي التي تمثل رأس التمثال النصفي المتقدم ، وقد ألصقت فيه .

القطعة رقم (١٦) :

وتمثل بعض خصلات شعر التمثال المتقدم ، وقد أعيدت إلى موضعها الأصلي .

اللوح رقم (٣١)

نحت هذا اللوح من الحجر الجصي الطري ، ويبلـغ ارتفاعه (٣٣) سم ، وعرضه (١٨ سم) وعمق النحت فيه (٤ سم) . وقد عثر عليه على أرض هذا الايوان بين صفي القبور (ق و ل) .

وهو يمثل طفلاً واقفاً ، وفوق كتفه الأيمن يشاهد محفوراً النص الآتي باللغة التدمرية .

طاعي بن مقيمو . واحسرتاه !..

ويرتدي الطفل طاعي ثوباً ، له ثنيات كثيرة . وينحدر هذا الثوب حتى ركبتيه ، ويشده الى وسطه نطاق . ويمسك طاعي بيده اليسرى عصفوراً ، وبيده اليمنى عنقوداً من العنب .

ووجه ممتلىء ، وقد تشوه قليلاً .

ونظن أن هذا اللوح من الزمرة الثالثة للنحت التدمري .

اللوح رقم (٣٢)

يبلغ طول هذا اللوح (٣٤ سم) ، وعرضه (١٨ سم) ، وعمق النحت فيه (٤،٥ سم) . وهو منحوت في حجر جصي صلب . وقد وجـد أمام صف القبور (ل) . ويحيط به إطار بارز ، ويمثل طفلاً فوق كتفه الأيسر نقش النص الآتي باللغة التدمرية :

مقيمو بن يرحبول طاعي . واحسرتاه !

ويقف الطفل مقيمو على دكة صغيرة ، وهو لابس ثوباً مشدوداً بحزام ، ويتهدل طرفه على شكل حزمه بين ساقيه . ويلاحظ أن ياقة هذا الثوب على شكل شبه منحرف . ويمسك مقيمو بيده اليمنى عنقوداً من العنب ، وبيده اليسري عصفوراً .

اللوح رقم (٣٤)

وهو من أجمل ألواح هذا المدفن . وقـد نحت في الحجر الجصي الطري . وارتفاعه

(٦١ سم) ، وعرضه (٢٦ سم) ، وعمق النحت فيه (٧ سم) . وقد وجد أمام صف القبور (ل) . ويظن أنه كان يزين واجهة القبر الثاني .

ويمثل هذا اللوح فتاة تدمرية قائمة على دكة ، ويدها اليمنى مسبلة وهي تقبض بها على ذيل من معطفها . وتمسك بيدها اليسرى مغزلاً ودرّارة من الخيطان . وثيابها من أجمل ما نقله لنا النحت التدمري من ملابس . فالوشاح يلف الرأس فوق عمرة متألفة من قطعتين ملفوفتين من القماش متداخلتين في بعضها[1] ثم ينحدر على كتفيها ، فيمتزج ويتلاشى بالمعطف الذي يلف الجسم ، ويظهر تقاطيعه بوضوح ، ويحدث عدداً من الثنيات الدقيقة الجميلة . ويتصل طرف من أطراف هذا المعطف بكتف الفتاة الأيسر ، ويتعلق هناك بحلية ذات شكل شبه منحرف ، ويتصل بها شكل فارس يمثل آله الحب . وينتهي هذا الشكل بثلاث سلاسل صغيرة .

ويبدو تحت المعطف ثوب الفتاة . ويزين أعلى هذا الثوب كمية زخارف مزركشة ثمينة جداً .

والفتاة مزينة بعدد وافٍ من الحلي . فيشاهد قرطان على شكل عنقود العنب في أذنيها وثلاثة عقود في جيدها ، وعدةٌ أساور في معصميها وخلاخيل في رجليها .

ويعود عهد هذا اللوح الجميل الى زمن الزمرة الاولى من النحت التدمري .

التمثال النصفي رقم (٣٥)

وهو من الحجر الجصي الطري ، ويبلغ ارتفاعه (٥٩ سم) ، وعرضه (٤٨ سم) ، وقد عثر عليه أمام صف القبور (م) .

ويمثل امرأة ملتفة بمعطف . وهي تحمل مغزلاً ومكبة بيدها اليسرى . ويمكن جعله في الزمرة الاولى .

وقد تشوه هذا التمثال كثيراً لدى سقوطه على أرض المدفن .

الشاهدة المستديرة التي تحمل رقم (٣٦)

ولم يبق منها إلا بعضها . وهي من الحجر الجصي الطري . ويبلغ ارتفاع الجزء الباقي (٢٢،٥سم) ،

---

(١) تشاهد عمرات مماثلة على رؤوس عدة نساء تدمريات في تماثيل وألواح مدفن يرحاي التدمري ، ولاسيما التمثال النصفي الذي يمثل المعزية في المحراب الغربي من الايوان الجنوبي ، وتمثال المرأة أقة ، (انظر : روبيرت آمي وهنري سيريغ : تحريات في مقبرة تدمر ، سيريا : ١٩٣٥ ، ص ٢٣٩ ، و ٢٤٨) .

وعرضه (٣١٫٥ سم). وعثرنا عليه في أحد قبور الصف (د). وهو يمثل امرأة تمسك بيد ابنتها. ووراءهما كفن معلق من طرفيه تلقاء سعفتي نخيل. والمرأة مرتدية ثوباً يشبه ثوب الفتاة الممثلة في اللوح (رقم ٣٤)، وعنقها ويداها مزينة بحلى تشبه حلى تلك الفتاة. وتمسك بيدها اليسرى صندوقاً صغيراً للحلى. أما ابنتها فقد ارتدت ثوباً مشدوداً من منتصفه بنطاق، وأمسكت بيدها اليمنى عنقوداً من العنب.

ويلاحظ أن أقسام الشاهدة التي تمثل رأسي المرأة وابنتها وساقي كل منهما، مفقودة. ويمكننا أن ننسب هذه الشاهدة إلى النصف الأول من القرن الثاني (١).

القطعة رقم (١٠)

وهي جزء من الشاهدة المتقدمة وقد أضيفت اليها.

التمثال النصفي رقم (٣٧):

إن هذا التمثال النصفي الوحيد الذي وجدناه في مكانه ملتصقاً بواجهة القبر الأول من صف القبور (م). وقد شاهدنا أمامه طاسة جصيه ملتصقة بالأرض كما ذكرنا سابقاً.

وهو من الحجر الجصي الطري. ويبلغ طوله (٦٨ سم)، وعرضه (٤٨٫٥ سم)، وعمق النحت فيه (١٦٫٥ سم). ويمثل شاباً أمرد، وفوق كتفه تقرأ العبارة الآتية باللغة التدمرية:

زبدلا بن زبيدا (بن) زبدلا طاعي. واحسرتاه!

وشعره مصفوف بتموجات مستديرة على جبهته. وتقاطيع وجهه منتظمة، ووجنتاه بارزتان وعيناه ممثلتان بدائرتين متداخلتين، وحاجباه غير مرسومين. وهو ملتف بمعطف غليظ، ويمسك بيده اليسرى مفتاحاً ضخماً.

ولا ريب أنه من الزمرة الأولى من النحت التدمري.

١٧ — ملاحظات عامة على ألواح المدفن وتماثيله:

ويتلخص من الدراسات التي فصلناها عن ألواح وتماثيل المدفن أننا أرخنا (٢٧ قطعة) منها بصورة تقريبية، وصنفناها بحسب عصور النحت التدمري، ويمكن توزيع هذه القطع على زمر النحت الثلاث على الشكل الآتي:

(١) نشر الأستاذ هانري سيريغ دراسة دقيقة عنوانها:
(Note sur les plus anciennes sculptures palmyréniennes. Berytus, III, 1936 pp. 137- 140)
وجمع فيها عدداً من الأفكار، تساعد على معرفة الألواح المنحوتة التدمرية التي يرجع عهدها الى القرن الأول الميلادي. ومن هذه الألواح، الشواهد المستديرة. على أن الشاهدة التي وصفناها في هذا المقام، من النصف الأول للقرن الثاني، لتوفر الصفات الفنية التي تخصص الزمرة الأولى من النحت التدمري فيها.

الزمرة	أرقام التماثيل النصفية والألواح	المجموع
الأولى	١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ١٨ ، ١٩ ٢٣ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧	١٦
الثانية	٥ ، ٦ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٩ .	٦
الثالثة	٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣١ .	٥

ويستنتج المرء بعد مطالعة هذا الجدول أن أكثر المتوفين من أعضاء أسرة طاعي ، الذين منحوا صوراً منحوتة بعد وفاتهم ، ماتوا في النصف الأول من القرن الثاني ، وأن هذه الأسرة كانت أغنى في هذه الحقبة من تاريخها ، منها في أي وقت مضى . فقد شيَّدت المدفن ، وزينته بأكثر زخارفه المنحوتة . ثم حان النصف الثاني من القرن الثاني فنقص كثيراً عدد التماثيل والألواح التي جعلت على فتحات قبور ذلك الزمن . وقد رأينا أن أجمل آثار هذا العصر اللوح الذي يمثل (مولع) وشقيقته (بولايا) . واستمرت أسرة طاعي تعيش في القرن الثالث دون أن تزداد مواردها ، حتى حلت المصيبة الرهيبة التي أنزلها الأمبراطور (أورليان) بتدمر ، فنهبها وأحرقها وهدم منشآتها على أثر ثورة نشبت فيها بعد ارتحاله عنها ، ومعه ملكتها زنوبيا أسيرة في سنة ٢٧٣ . (١)

بيد أنه لا يظهر أن الجيش الروماني الذي حاصر تدمر آنئذ ، قد خرب مدفن أسرة طاعي ، لأنه كما سبق لم نعثر على أية آثار لتشويه متعمد في تماثيله . وأكبر الظن أن هذه الأسرة زالت نحو هذا التاريخ ، فانقطعت العناية بمدفنها في آخر القرن الثالث ، فنهبت زخارفه قبل أن تسفو عليه الرياح وتغيبه الرمال في جوفها .

ويمكننا الاستنتاج من النصوص التي اطلعنا عليها في مدفن أسرة طاعي أن أقدم أعضاء هذه الأسرة هم : بوزيفا قسما ، وابنه عجيلو المذكورين في اللوح الذي يتحدث عن تشييد المدفن ، وطاعي جد الكاهن نبولا الممثل في التمثال النصفي رقم (١) ، وابنه وهب اللات ، وبرشماش أبو حيران الممثل في التمثال النصفي رقم (٢) ، وعويد اللات والد عبتشاي الممثلة في التمثال النصفي رقم (٤) ، وبوريفا طاعي الممثل في التمثالين النصفيين رقم (٧) ورقم (٣٠) ، ومقيمو والد طاعي الممثل في التمثال النصفي رقم (٣١) ، ويرحبول طاعي والد مقيمو الممثل في التمثال النصفي رقم (٣٢) ، وزبدلا وابنه زبيدا المذكورين في التمثال النصفي رقم (٣٧) . ولا ريب أن كل هؤلاء الرجال عاشوا في القرن الأول الميلادي وألفوا الجيل الأول الذي عرف لدينا من هذه الأسرة . وأكبر الظن أنهم لم يدفنوا في هذا المدفن .

(١) انظر ما كتب مؤخراً عن هذا الموضوع في ص : ٦٢ وما يليها من كتاب :
Jean Starky : Palmyre. Paris. الصادر في سنة ١٩٥٢

ثم إننا لم نعثر على صورة لـ (طاعي ؟) بن عجيلو بن بوريفا قسما مشيد المدفن . ويمكننا أن نفرض أنه قد مثل في أحد التمثالين النصفيين رقم (٨) ورقم (٢٣) ، اللذين لم تنقش أية عبارة عليهما . وقد حاولنا أن نرسم شجرة لأفراد هذه الأسرة الممثلين في التماثيل والألواح المكتوبة ، فلم نتمكن لأن عدد القطع المكتوبة لا يزيد عن العشرين ، ولأن هذه النصوص المنقوشة غير كافية .

ومهما يكن فيمكننا أن نوضح بعض الروابط العائلية المباشرة بين عدد من الأشخاص الممثلين . فالرجل الممثل في التمثال النصفي رقم (٣٠) هو شقيق الكاهن الممثل في التمثال النصفي رقم (٧) ، لأنهما ابنا بوريفا طاعي كما يذكر النصان المنقوشان حذاء صورتيهما .

ويجدر بنا أن نتساءل فيما إذا كان بوريفا طاعي هذا هو نفس بوريفا والد قابورام وطاعي في اللوح رقم (٣) ، ووالد عوجا الممثل في التمثال النصفي رقم (٥) . ونميل إلى الردّ بالايجاب عن هذا التساؤل ، لأنه لا يوجد فارق بين بوريفا وبين بوريفا طاعي ؛ إذ أن طاعي هو لقب الأسرة كلها ، لا سيما وأن كل القطع المذكورة ما عدا التمثال رقم (٥) من عصر واحد ، وهو النصف الأول من القرن الثاني . وإذا تحقق ذلك فان بوريفا كان له على الأقل خمسة أولاد دفنوا جميعاً في هذا المدفن ، ومنهم قابورام وطاعي وعوجا[1] . وهم من الجيل الثاني المعروف لدينا من هذه الأسرة ، والذي منه أيضاً مقيمو بن طاعي الممثل في التمثال النصفي رقم (١٨) ، وأصحاب التماثيل ذات الأرقام (٧ و ٨ و ٢٣ و ٢٨ و ٣٠) ، ومقيمو بن يرحبول طاعي الممثل في التمثال النصفي رقم (٣٢) ، والفتاة الممثلة في اللوح رقم (٣٤) ، والمرأة المصورة في التمثال رقم (٣٥) ، والمرأة وابنتها الممثلتان في الشاهدة رقم (٣٦) ، وزبدلا بن زبيدا بن زبدلا في التمثال النصفي رقم (٣٧) . وكلهم ماتوا في العصر المذكور .

ثم إن بوريفا الذي يشاهد في التمثال النصفي رقم (١٧) هو شقيق (مولع) ، و (بولايا) اللذين في اللوح رقم (٢٠) . إذ أنهم جميعاً أولاد عوجا كما تذكر ذلك النصوص حذاء صورهم . ولا ريب أن عوجا هذا هو صاحب التمثال النصفي رقم (٥) . ويؤيد ذلك أن القطع (١٧ و ٢٠ و ٥) من عصر واحد ، وهو النصف الثاني من القرن الثاني . وهؤلاء الأفراد أي (بوريفا) و (مولع) و (بولايا) من الجيل الثالث لأسرة طاعي ، والذي عاش في هذا الزمن . ويمكن أن يضاف إليهم المرأة الممثلة في التمثال النصفي رقم (٦) ، والمرأة التي تشاهد في التمثال النصفيّ رقم (٢٥) ، ونبولا بن معنو طاعي[2] الذي يُرى في التمثال النصفيّ رقم (٢٩) .

وأخيراً فان النادبة (عومابي) التي تظهر في التمثال النصفي رقم (٢١) هي ابنة مولع ابن عوجا الممثل في اللوح (٢٠) ، وهي من الجيل الرابع المعروف لدينا من هذه الأسرة ،

---

(١) الذي عاش الى ما بعد النصف الأول من القرن الثاني الميلادي .
(٢) إن معنو طاعي هذا من افراد الجيل الثاني الذي تقدم ذكره .

والذي عاش في القرن الثالث الميلادي . ومن هذا الجيل بوريفا بن مقيمو بن طاعي[1] الذي يري في التمثال النصفي رقم (٢٤) ، وهو أخو طاعي بن مقيمو بن طاعي المشاهد في التمثال النصفي رقم (٢٢) . ونظن أن مقيمو بن طاعي هو الذي يظهر في التمثال النصفي رقم (١٨) . وكنا ذكرنا أن التمثال الأخير من منتصف القرن الثاني ، وأن التمثالين الأول والثاني من من القرن الثالث . ومن المحتمل أن يكون مقيمو قد مات في القرن الثاني أو بعد ذلك بقليل ، وأن ولديه عوماي وبوريفا ماتا في أول القرن الثالث . ومن الجيل الرابع أيضاً المرأة (رتع) بنت (مدلع) بنت مقيمو الممثلة في التمثال النصفي رقم (٢٧) ، وهي ابنة (مدلع) شقيق عوماي وبوريفا بدون شك .

١٨ — السرج الفخارية :

ووجدنا في عدة مواضع من أرض المدفن ، وفي داخل القبور ، عدداً من الجرار الفخارية المتكسرة الى أجزاء كثيرة ومن السرج الفخارية المختلفة . ومعظم هذه السرج مصنوع من الفخار الأبيض الأصفر وبعضها من الفخار الأحمر ، وبينها أربعة سرج على قرصها الخارجي كلمتان بارزتان هما اسما الالهين التدمريين القديمين وهما : اغليبول و ملاك بل .

ولا يخفى أن (أغليبول) هو إله القمر لدى التدمريين (القدماء) ، وأن (ملاك بل) هو رسول الاله (بل) ، ورب الشمس ؟

ولا ريب أن (أغليبول) و (ملاك بل) كانا يؤلفان مع الاله (بعل شامين) ثالوثاً مقدساً ، وكان لهما معبد في تدمر . وقد جرت عادة التدمريين على وضع اسميهما على البطاقات الفخارية المعروفة باسم (Tessères) على والسرج الفخارية . ولا يدرى السبب في ذلك . وأغلب الظن أنه كان يوجد للسرج الفخارية ملحق بالمعبد المذكور .

وإذا نظرنا في السرج المكتشفة في مدفن طاعي ، لوجدنا أن كلاً منها مصنوع من انطباق قطعتين على بعضهما : الأولى تمثل قرص السراج ، وفيها المسعب ، وفوهة الزيت ، والعروة ، والثانية : بطن السراج المفلطح ، ولا يزيد ارتفاعهما على ثلاثة أو أربعة سانتيمرات .

وعدد هـــذه السرج ثمانية وأربعون سراجاً ، وهي شبيهة بالسرج المستخرجة من مدفن يرحاي[3] ، ويمكن تصنيفها شأن تلك السرج في أربع زمر :

١) تحوي الزمرة الأولى خمسة سرج ، وتختص أن مساعبها مربعة الشكل ، وأنها مضافة اليها بعد طبخها . وثلاثة سرج منها دون عروات ، أما الاثنان الباقيان فيوجد لأحدهما عروة على شكل سعفة النخيل ، وللآخر عروة بسيطة .

(١) وهو كما يظهر من افراد الجيل الثالث .

(٢) انظر في ص ٦٥ و ٨٤ من كتاب :
J.G. Février : La religion des Palmyreniens, Paris 1951

(٣) انظر مقال سيريغ وآمي ، المصدر المذكور سابقاً ، ص : ٢٦٢ ، وما يتبعها .

٢) وتتألف الزمرة الثانية من السرج ذات المساعب المستديرة التي تتصل دون أي تمهيد بأجسامها ذات الأشكال الأجاصية ، وعددها (٢٤ سراجاً) . وتختص نقوشها المحفورة أنها تلتف حول وجهها العلوي فقط ، أو أنها تلتف حول هذا الوجه والمسعب على السواء . أمّا عرواتها فانها مؤلفة من قرصين فخاريين متصلين .

ويشاهد في مركز وجهها الخارجي ثقب لصب الزيت ووضع الفتيل ، وقد زيّن ما حول هذا الثقب بزخارف هندسية أو أوراق نباتية :

٣) وتحوي الزمرة الثالثة سرجاً ذات مساعب رمحية ، وهي بسيطة الصنع ، وليست لهـا عروات ، ولـكل منها قناة صغيرة محفورة بين ثقب الوجه العلوي ، وثقب المسعب ، ويبلغ عددها (١١ سراجاً) .

٤) أما الزمرة الرابعة فان صنعها ابتدائي ، وحافات وجوهها الخارجية عريضة ، ومساعبها مستديرة ، وتمتزج امتزاجاً تاماً بأجسامها ، وليست لهـا عروات ، وتتألف زخارف وجوهها العلوية من حبيبات متتابعة ، أو من خطوط مستقيمة على أشكال الأشعة أو من تويجات نباتية ، وداخلها مزين بمواضيع حيوانية متعددة منها الأسد والثور وغير ذلك . ويبلغ عددها (٨ سرج) .

* * *

ولا ريب أن عهد هذه السرج يرقى إلى القرنين الثاني والثالث ، إذ أنها جُعلت في المدفن بعد تشييده في فاتحة القرن الثاني . وكنا ذكرنا أن المدفن هجر في القرن الثالث ، ولا يعقل أن تكون من بعد هذا التاريخ . وأكبر الظن أن الزمرة الثالثة فيها من آخر القرن الأول وأول القرن الثاني ، وأن الزمرة الرابعة التي تشبه بعض أنواع الفخار الاغريقي ، من آخر القرن الثاني . وأما الزمرتان الأولى والثانية فيظن أنهما من القرن الثالث .

١٩ — خلاصة البحث :

وهكذا فان بحثنا في فنون هذا المدفن ونحته ، وما وجد فيه من سرج فخارية ، أظهر لنا أن تشييده كان على دفعة واحدة في فاتحة القرن الثاني . وقد سبق أن أبنّا أنه لم يتوفر لدينا أي دليل على أن احد أجنحته الثلاثة كان أقدم من الجناحين الآخرين ، وأن بعض أقسام الايوان الغربي والايوان الجنوبي ، والايوان الشمالي استخدمت لدفن أفراد أسرة طاعي . ولم نجد في أي جناح ما يشعر أنه كان مخصصاً لفرع معين من فروع هذه الأسرة .

ولا ريب أن مشيده (طاعي ؟) بن بوريفا قبما اتخذ له مخططاً أكبر من حاجات هـذه الأسرة . إذ أنه لم يستخدم فيما بعد من الايوان الشمالي إلا صفان من القبور ، ومن الايوان الجنوبي

إلا أربعة صفوف ، كما أن الايوان الغربي الذي دفن فيه معظم أفراد هذه الأسرة لم يشغل كله تماماً . وكذلك فان عدد صفوف القبور البالغ (٢٣ صفاً) في الأواوين الثلاثة لم تستعمل كلها ، وبقيت القبور العلوية في كثير من الصفوف غير مشغولة .

ويظهر أن هذه الصفوف كانت تشق كلما دعت الحاجة إلى ذلك . ويدلنا اختلاف طرق بنائها ، وتعدد المواد التي استعملت في هذا البناء ، من لوحات جصية وآجرية وأحجار ، على أنها لم تشيَّد دفعة واحدة . ويحتمل أن يكون كلٌّ منها أو كل مجموعة منها كانت مخصصة لفرع من فروع هذه الأسرة . وقد احتل طوابقها السفلية على ما تبدي لنا الأفراد الذين ماتوا في النصف الأول من هذا القرن ، وطبقاتها العلوية الأفراد الذين ماتوا فيما بعد .

ويبدو أن إمكانيات أسرة طاعي المادية لم تكن تعادل إمكانيات أسرة يرحاي ، أو الاخوان الثلاثة . فما بقي من زخارف المدفن البنائية يدل على أن بناءه لم يكن على إتقان عمارتي المدفنين الآخرين . كما ان زخارفه المنحوتة الكبرى لا تشبه ما وجد في الايوان الغربي لمدفن يرحاي ، او ما وجد في الايوانين الجانبيين لمدفن الاخوان الثلاثة . ومهما يكن فان مجموعة التماثيل النصفية والألواح الملتقطة من مدفن أسرة طاعي تعدُّ من اغنى ما لدينا من مجموعات هذه التماثيل والألواح ومن اجملها .

ويصعب تحديد مكانة اسرة طاعي الاجتماعية ، وكل ما أمكننا تقديمه انه ظهر فيها اربعة كهان وجدنا تماثيلهم النصفية ، ولعلهم من كهان معبد (بل) التدمري الكبير للتشابه بين علاماتهم ، وبين علامات بعض كهان معبد (بل) . كما انه وجدنا في هذه الأسرة النادبة (عومابي) ، وسيدة غنية هي (بولايا) .

وذكرنا ان هذا المدفن نهب ، وان زخارفه البنائية سرقت . وقد فتح اللصوص عدداً من قبوره في العصور القديمة ؛ إلا ان عدداً كبيراً من هذه القبور لم تمس ، وقد وجدنا هياكل اصحابها العظمية في الأوضاع الأصلية التي جعلت عليها لدى الدفن دون أن يكون معها أدوات أو أشياء أخرى . مما يدلنا على ان التدمريين القدماء ما كانوا يضعون مع جثث امواتهم اشياء ثمينة . كما اننا لم نعثر في المدفن على ما يدلنا انه استخدم في القرن الرابع الميلادي ، وهذا يدعونا لأن نجزم ان العناية به انقطعت في النصف الثاني من القرن الثالث ، وان زخارفه البنائية سرقت في هذا التاريخ قبل ان تغيبه الرمال في جوفها مدة تزيد على سبعة عشر قرناً .

سليم عادل عبد الحق